
فلسطين
بين الحق المغصوب والحل المطلوب


بسم الله الرحمن الرحيم

فلسطين

بين الحقِّ المغصوب والحلّ المطلوب

تأليف

عبد القادر بن محمد العمّاري

الطبعة الأولى

١٤٣٢ هـ - ٢٠١١م

إضاءات

قال سبحانه وتعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ [الإسراء].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «**لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَىٰ ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِ رَسُولِ اللهِ، والْمَسْجِدِ الأَقْصَىٰ**»[1].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ، حَتَّىٰ يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ، فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوِ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللهِ! هَـٰذَا يَهُودِيّ خَلْفِي فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ؛ إِلَّا الْغَرْقَدَ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ**»[2].



(١) «صحيح البخاري» (١١٨٩)، و«صحيح مسلم» (٣٤٥٠).
(٢) «صحيح البخاري» (٢٩٢٦)، و«صحيح مسلم» (٧٥٢٣) واللفظ لمسلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله، نصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده، والصلاة والسلام علىٰ من بعث بالسيف بين يدي الساعة، وجعل رزقه تحت ظل رمحه، صلىٰ الله وسلم عليه وعلىٰ آله وصحبه، ومن استن بسُنَّته، واهتدىٰ بهديه.

أما بعد:

ماذا يجب عليّ أن أفعل؟ وكيف أتصرّف تجاه ما يجري لإخواننا في أرض الرباط وبلد أولىٰ القبلتين ومسرىٰ رسول الله عليه صلوات وسلام رب العالمين؟ سؤال يردده كثير ممن ملأتهم الغيرة والحرقة لدين الله تعظيماً لشعائر الله، سؤال يطرحه كل مسلم ما زال قلبه حيّاً بالإيمان لا سيما بعد إدراكنا زمناً يصبح الحليم فيه حيران، زمناً بلغ بالمسلمين فيه الذل والهوان كل مبلغ، زمناً تربّع فيه علىٰ عروش عزّتهم عدوُّهم فأذلهم وسامهم الخزي والهوان، وتحكّم فيهم وحَكَمَهم بما يملي عليهم، وصار رؤساؤهم وحكّامهم يدورون مع عدوهم حيث دار، جرياً خلف المصالح والمنافع الوهمية التي تكسبهم ذل الدنيا وخزي الآخرة، وشعوب الإسلام في غمار الغفلة، وخمر الهوىٰ، وسكر الباطل، تركوا ما أراد منهم ربهم وخالقهم، وبعدوا عن سبب عزّهم ورفعتهم ومجدهم، لذا استباح العدو أرضهم ودنّس مقدّساتهم، وأعمل فيهم ما أراد، وصدق رسول الله ﷺ القائل: «**يُوشِكُ الأُمَمُ أَنْ تَدَاعَىٰ عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَىٰ الأَكَلَةُ إِلَىٰ قَصْعَتِهَا**. فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: **بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزِعَنَّ اللهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ**

مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللهُ فِيْ قُلُوبِكُمُ الْوَهَنَ. فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ! وَمَا الْوَهَنُ؟ قَالَ: **حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ**»[1].

إن أرض فلسطين التي اغتصبها العدوّ الصهيوني بمدد من الغرب الكافر، وجثم بطغيانه عليها، وشرّد منها أهلها، ومن بقي من أهلها فيها لاقىٰ من عدوّه ما لاقىٰ من الظلم والجبروت والطغيان، من هدم المساجد والبيوت، وقتل النساء والأطفال والشيوخ، وتعذيب الشباب العزّل. حوصرت مدنهم وقراهم، وجرفت أراضيهم ومزارعهم، حتىٰ المستشفيات ودور الأيتام لم تسلم من بطشهم وظلمهم، هـٰذا غيض من فيض مما يجري علىٰ أرض فلسطين منذ ما يزيد علىٰ الخمسين عاماً.

أرض فلسطين فيها المسجد الأقصىٰ المبارك وهو أول قبلة للمسلمين، ومسرىٰ الرسول ﷺ، وهو ثالث المساجد مكانة ومنزلة في الإسلام؛ بعد المسجد الحرام والمسجد النبوي، يُسن شد الرِّحال إليه وزيارته، والصلاة فيه مضاعفة.

أرض فلسطين أرض مباركة بنص كتاب الله سبحانه، وهي أرض الأنبياء ومبعثهم عليهم الصلاة والسلام، فالمسلمون عندما يقرأون القرآن الكريم يشعرون بارتباط عظيم بينهم وبين هـٰذه الأرض، فميدان الصراع بين الحق والباطل تركز علىٰ هـٰذه الأرض، وهم يؤمنون أنهم حاملو ميراث الأنبياء ورافعو رايتهم، ودين الإسلام جاء ناسخاً لما قبله مع الإيمان بكل من سبق من الأنبياء والمرسلين.

أرض فلسطين هي أرض المحشر والمنشر، وهي عقر دار الإسلام وقت اشتداد المحن والفتن، والمقيم المحتسب فيها كالمجاهد والمرابط في سبيل الله، بل جاء في الأحاديث أن الطائفة المنصورة الثابتة علىٰ الحق القاهرة للعدو تسكن الشام؛ وخصوصاً بيت المقدس وأكناف بيت المقدس.

---

(١) «مسند أحمد» (٢٢٤٥٠) قال شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن، و«سنن أبي داود» (٤٢٩٩) قال الألباني: صحيح، و«شعب الإيمان» للبيهقي (١٠٣٧٢).

أرض فلسطين هٰذه مكانتها عند المسلمين، وقد تعمقت هٰذه المكانة بالفتح الإسلامي لها، ووقوع عدد من المعارك الفاصلة في التاريخ علىٰ أرضها، واختلاط دماء الصحابة والتابعين والمجاهدين بثراها المبارك، وهجرة الكثير من الصحابة والتابعين والعلماء إليها وإقامتهم فيها، وبروز عدد من أبنائها من علماء وقادة ومجاهدين ورجال حكم.

وهٰذا كله يقودنا إلىٰ الإشارة إلىٰ أحد معالم الحل الإسلامي المنشود لتحرير الأرض المباركة، وهو توسيع دائرة الصراع لتشمل كافة المسلمين المؤمنين بحقهم فيها، وعدم التفريط بأي جزء منها، فهي حق للمسلمين اغتصبه منهم عدوهم، والحلُّ المطلوب في استعادة هٰذا الحقِّ المغصوب واسترجاعه هو الرجوع إلىٰ دين الله والاستقامة عليه، ورفع راية الجهاد في سبيل الله بإعلان النفير العام: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ [التوبة].

ولأجل نصرة رسول الله ﷺ بنصرة مسراه عليه الصلاة والسلام كانت هٰذه العناوين المتناثرة، والمقالات المتضافرة، والمواضيع المتعاضدة، خلال سنوات وأعوام(١) وتوظيفاً لأحداث جسام ووقائع عظام، وإثر نكبات وأزمات مرت بها أمة الإسلام عامة وشعب فلسطين خاصة في قضيتهم التي طال الفصل فيها؛ لأن الحَكَم والمتحكِّم فيهم خصمهم وعدوهم اللّدود، الكافر الجحود، فكان هٰذا الكتاب نصرة لتلك القضية، وإرغاماً لأعداء الدين والملة، وتوضيحاً للحل المطلوب وكشفاً لاسترجاع ذٰلكم الحق المغصوب.

فأسأل الله بمنه وكرمه، وعلمه وحكمته، وعزته وقدرته، وجبروته وقوته، أن يعجّل بنصر تلك القضية، وعودة الحق إلىٰ أهله، وينصر حملة لواء الملة، المجاهدين المدافعين عن حياض الأمة وحماها، الذين مرادهم إعلاء

---

(١) ولأنها في موضوع واحد فقد يوجد فيها تكرار لبعض القضايا والأحداث، مع أنني حاولت تجنب ذٰلك في كثير من صفحات هٰذا الكتاب.

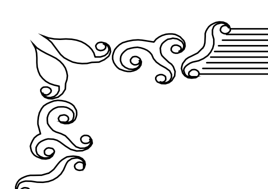
كلمة الله، ونشر شريعته، وأسأله سبحانه أن يرفع الأمة ويعلي شأنها بقائد رباني يعيد لها علىٰ يديه مجدها وسيادتها وريادتها إنه نعم المولىٰ ونعم النصير.

عبد القادر بن محمد العماري

قطر ـ الدوحة

الإثنين ١٤٣٢/٦/٢٧هـ

الموافق ٢٠١١/٥/٣٠م



القُدْسُ

إنَّ ارتباط العرب والمسلمين بالقدس كان قبل ارتباط اليهود بها، فهي عاصمة فلسطين من قبل ومن بعد، ولقد كان العرب الكنعانيون أول من سكن فلسطين منذ ستة آلاف سنة، فكانت تُعرف بأرض كنعان، ويشهد بذٰلك ويعترف دافيد بن غوريون[1] حين يفسر ماهية الصهيونية عندما يتحدث عن الوعد الإلـٰهي الذي يُبنىٰ عليه الأمل في العودة. وسميت القدس بذٰلك نسبة لليبوسيِّين الذين أسسوا القدس وهم بطن من الكنعانيين، فكانت تسمىٰ (يبوس) ثم أطلق عليها القدس، وجاء بعد ذٰلك نبي الله إبراهيم عليه السلام. ولا عبرة بعد ذٰلك لمن يحاول أن يزيّف التاريخ، أو ينكر الواقع التاريخي الذي لا يختلف عليه اثنان.

فالأرض إذن هي أرض بني كنعان بإجماع المؤرخين قبل أن يولد إبراهيم عليه السلام الذي تزعم الصهيونية أن السماء أبلغته أن سأعطيك ولذريتك من بعدك جميع أراضي بني كنعان ملكاً خالداً لك. فهم يعترفون أن الأرض أرض بني كنعان من قبل أن يولد إبراهيم عليه السلام، ونبي الله إبراهيم لم يكن يهودياً ولا نصرانياً؛ بل هو أبو الأنبياء من بني إسرائيل وأب لمحمد عليه وعليهم جميعاً صلوات الله وسلامه، يقول الله سبحانه: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [آل عمران]، والمسلمون أولىٰ

---

(١) زعيم صهيوني، وأول رئيس وزراء لإسرائيل تولىٰ هٰذا المنصب لأطول فترة، وُلد في مدينة «بلونسك» البولندية ١٨٨٦م، ولتحمّسه للصهيونية هاجر إلىٰ فلسطين في ١٩٠٦م. قاد بن غوريون إسرائيل في حرب ١٩٤٨م التي يُطلق عليها الإسرائيليون حرب الاستقلال. توفي بن غوريون ١٩٧٣م. (نقلاً عن موقع وزارة الخارجية الإسرائيلية).

بإبراهيم من غيرهم. ويقول الكاتب الأمريكي اليهودي «موشيه مينوحين» في كتابه «انحلال اليهودية في عصرنا»: «منذ أكثر من أربعة آلاف سنة كما تروي قصص التوراة، عاش الكنعانيون في فلسطين. إن بعض عرب فلسطين الذين يعيشون الآن كلاجئين مشردين في الخيام والأكواخ في معسكرات خارج حدود وطنهم هم من نسل هٰؤلاء الكنعانيين القدامىٰ الذين كانوا مزيجاً من الساميين والآريين والحثيين. لقد بنىٰ الكنعانيون المدن والقصور، وعاصروا حرب الغزو الذي شنه الإسرائيليون الأوائل، وحين خرج محمد ﷺ من الجزيرة ليفتح العالم ويحول الجميع إلىٰ مسلمين اعتنق أغلب سكان فلسطين الإسلام، وشكلوا منذ بداية القرن السابع الميلادي شعباً عربياً واحداً متحداً، ولهٰذا نرىٰ اليوم عرب فلسطين يشكلون الغالبية الساحقة من السكان منذ تلك الأيام». اهـ. فلم تكن فلسطين في يوم من الأيام وطناً قومياً لليهود، ولم يكوِّنوا فيها أمة بالمفهوم العلمي للأمة.

يقول «أرثر غليوم» أستاذ دراسات العهد القديم البريطاني: «قد يتراءىٰ لقارئ سطحي أن وعداً إلٰهياً صدر قبل أربعة آلاف سنة وكرّر مراراً بإعطاء أرض لشعب معين يجعل ذٰلك الشعب مالكاً لتلك البلاد باسم الحق المقدس، فإذا كان هٰذا هو سند اليهود في فلسطين فمن الواجب تنفيذه تنفيذاً دقيقاً، وإذا سايرنا ما في سفر التكوين إصحاح (١٢ ـ ٧): أن أول وعد بإعطاء فلسطين لذرية إبراهيم كان قرب نابلس، وظهر الرب لإبراهيم، وقال: لِنَسْلِكَ أُعطي هٰذه الأرض، فبنىٰ هناك مذبحاً للرب الذي ظهر له». وهنا يقول غليوم وهو يشير إلىٰ ما جاء في سفر التكوين (٢٨ ـ ١٣ ـ ١٥) من عبارات تضمنت الوعد بالأرض: «والاعتقاد الشائع أن هٰذه الوعود أعطيت لليهود دون سواهم، ولٰكن ليس ذٰلك ما تقوله التوراة فإن الكلمة (ذريتك) تشمل العرب أيضاً مسلمين ومسيحيين من ذرية إبراهيم من أبناء إسماعيل».

ورحم الله سيد قطب الذي وضع هنا النقاط علىٰ الحروف عندما قال في «ظلال القرآن»: «من حقائق الخطوط الأساسية في التصور الإسلامي أن العقيدة هي تراث القلب المؤمن لا تراث العصبية العمياء، فوراثة العقيدة تقوم

حينئذ علىٰ قرابة الإيمان لا علىٰ قرابة الدم والجنس، والإسلام بمعنىٰ إسلام الوجه لله وحده سبحانه كانت هي الرسالة الأولىٰ، وهي الرسالة الأخيرة، هـٰكذا اعتقد إبراهيم وهـٰكذا اعتقد بعده إسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط إلىٰ أن أسلموا هـٰذه العقيدة ذاتها إلىٰ موسىٰ وعيسىٰ ثم آلت أخيراً إلىٰ ورثة إبراهيم من المسلمين: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾ [البقرة]»[1]. فالظالمون لا ينالون عهد الله ولا وعده ولو كانوا من أولاد إبراهيم.

فالثابت أن العرب والمسلمين هم أصحاب الأرض، ولـٰكن بريطانيا التي احتلت أرض فلسطين هي من وهبتها لليهود بحسب وعد بلفور الذي وعد بوطن قومي لليهود سنة ١٩١٧م ونصه: «أن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلىٰ تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين، وستبذل جهدها لتحقيق هـٰذه الغاية»[2] مع البيان الجليّ بأنه لن يفعل شيئاً يضر الحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف المدنية والدينية المقيمة في فلسطين، وكذا الحقوق والمركز السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلدان الأخرىٰ.

وعندما دخل الجيش البريطاني مدينة القدس، قال القائد البريطاني الجنرال اللنبي: «انتهت اليوم الحرب الصليبية». وقوبلت كلمته هـٰذه بالاستياء في العالم الإسلامي حتىٰ قال أحمد شوقي:

يَا فاتِحَ القدْسِ خَلِّ السَّيفَ ناحِيَةً	لَيسَ الصَّليبُ حَدِيداً كَانَ بَلْ خَشَبَا
إِذَا نَظَرْتَ إِلَىٰ حَيثُ انْتَهَتْ يَدُهُ	وَكَيفَ جَاوَزَ فِي سُلطَانِهِ القُطُبَا
عَلِمْتَ أَنَّ وَرَاءَ الحَقِّ مَقْدِرَةً	وَأنَّ لِلْحَقِّ لَا لِلقُوَّةِ الغَلَبَا

وقام البريطانيون واليهود بالضرب والقتل في المسلمين، فقتلوا إمام المسجد الأقصىٰ الشيخ إبراهيم الأنصاري، وردّ عليهم المجاهدون، وتمكّنوا من طردهم من المدينة المقدّسة، ولـٰكن المجاهدين اضطروا إلىٰ إخلاء المدينة

---

(١) في «ظلال القرآن» لسيد قطب (١/ ١١١) بتصرف.

(٢) «موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية» للمسيري (٦/ ٥٥).

بعد أن هدَّدتهم بريطانيا بقذف المدينة بالمدفعية والطائرات وهدم المقدسات، واستمرت الثورة الفلسطينية حتىٰ قسّمت فلسطين بعد ذٰلك، وأصبحت القدس القديمة في الجانب الأردني، ولٰكن الحرب الأخيرة بين الدول العربية وإسرائيل ـ حرب النكبة والهزيمة ـ جاءت بعدها الاتفاقات وقرارات مجلس الأمن والجمعية العمومية التي لم ينفذ منها شيء، بل بقيت إسرائيل مسيطرة جاثمة علىٰ البلدة المقدسة، وكانت البداية عندما تخلّىٰ العرب والمسلمون عن الاعتصام بحبل الله، وطغت عليهم أفكار القوميات والعصبيات، وتناسوا قول الله: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران:١٠٣]، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾ [الأنبياء]، ونسوا قول الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ عندما فتح المسلمون القدس: «إِنَّكُمْ كُنْتُمْ أَذَلَّ النَّاسِ وَأَحْقَرَ النَّاسِ وَأَقَلَّ النَّاسِ، فَأَعَزَّكُمُ الله بِالإِسْلَامِ فَمَهْمَا تَطْلُبُوا العِزَّ بِغَيْرِهِ يُذِلُّكُمُ اللهُ»(١)، ونسوا ما قام به صلاح الدين الأيوبي الذي استعاد القدس من أيدي الصليبيين، وأن السّلطان العثماني عبد الحميد قال وهو يرد علىٰ زعيم الصهيونية هرتزل: «إن فلسطين ليست ملك يميني بل هي ملك شعبي الذي رواها بدمه، فليحتفظ اليهود بملايينهم، وإن عمل المبضع في بدني لأهون علي من أن أرىٰ فلسطين قد بترت من إمبراطوريتي وهٰذا أمر لا يكون»(٢).

إنّ تحرير القدس لن يكون إلا بالتضامن الإسلامي ووحدة المسلمين وعودتهم للجهاد في سبيل الله، وعندما نقول الجهاد نقصده بمعناه الواسع ومفهومه الشامل وهو بذل الوسع والطاقة والجهد في العمل من أجل الإسلام ونشره والدفاع عنه بالمال وبالنفس واللسان، وتحرير القدس جزء من هٰذا الجهاد، مستلهمين قول الله سبحانه: ﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ

(١) «تاريخ دمشق» (٤٤/ ٥)، و«البداية والنهاية» (٧/ ٧٠)، و«محض الصواب في فضائل ابن الخطاب» (٢/ ٥٩٠).

(٢) «يوميات هرتزل» (ص٢٢)، و«مكايد يهودية عبر التاريخ» (ص٢٧٥).

﴿ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾ [الحج].

والجهاد كما هو معروف في الفقه الإسلامي إما أن يكون فرض عين أو فرض كفاية إذا قام به من يدفع العدو ويحمي ثغور المسلمين يسقط فرضه عن الباقين، ونصَّ الفقهاء علىٰ أنه إذا وطئت أقدام الكفار المحاربين بلاد المسلمين فهو فرض عين علىٰ من في تلك البلاد ومن كان بقربهم أن يقاتلوهم ويخرجوهم من بلادهم، وفرض كفاية في حق من بعد(١).

الصّهاينة اليوم ينتهكون حرمات المسجد الأقصىٰ ويخرِّبونه ويهدمون فيه للتنقيب عن هيكل سليمان كما يزعمون، فعلىٰ المسلمين كافة أن يهبُّوا مع الفلسطينيين لإنقاذ المسجد الأقصىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾ [التوبة].

إنّ الإسلام لا يبيح العدوان علىٰ أحد ولٰكن اليهود هم الذين جاءوا من بلدان مختلفة واحتلوا فلسطين بدعم الدول الغربية وعلىٰ رأسها بريطانيا وأمريكا لذٰلك فهم محاربون معتدون، والله سبحانه في القرآن العظيم يقول: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ﴾ [البقرة:١٩٤]، ويقول سبحانه: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾﴾ [البقرة].

هناك من يعترض علىٰ ما يسمّىٰ بالعمليات الاستشهادية بحجة أنها من قبيل الإلقاء بالنفس إلىٰ التهلكة، وفي القرآن: ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ [البقرة]. والواقع أن الامتناع عن الجهاد وعدم ردِّ العدوان هو الإلقاء في التهلكة، وهٰذه العمليّات إن

---

(١) ينظر: «روضة الطالبين وعمدة المفتين» (١٠/ ٢١٤، ٢١٥).

كانت منضبطة بضوابط الشرع وتحت مشورة العلماء وصادرة عن رأيهم فليست من الإلقاء في التهلكة. فقد ثبت في كتب السُّنَّة أن معنىٰ الإلقاء في التهلكة هو عدم الإنفاق في سبيل الله والانشغال عن الجهاد[1]، وثبت أن بعض الصحابة ﷺ حمل بنفسه علىٰ جيش الأعداء في القسطنطينية حتىٰ خرقه، فقال بعض القوم: ألقىٰ بنفسه إلىٰ التهلكة. قال أبو أيوب الأنصاري ﷺ: إن الإلقاء باليد إلىٰ التهلكة هو ترك الجهاد في سبيل الله[2]. وقال علماء الإسلام: لا بأس أن يحمل الرجل بنفسه علىٰ الجيش العظيم إذا كان فيه قوّة، وكان لله بنية خالصة، فإذا طلب الشهادة وخلصت النيّة فليحمل، وذٰلك بيِّنٌ في قوله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۗ﴾ [البقرة:٢٠٧]. وقال العلماء: لو علم أو غلب علىٰ ظنه أنه يقتل ولٰكن سينكي نكاية بالعدو، أو تؤثّر أثراً ينتفع به المسلمون جاز ذٰلك، وَرُوِيَ أَنَّ رَجُلاً قَالَ للنَّبِيِّ ﷺ: أَرَأَيتَ إِنْ قُتِلْتُ فِيْ سَبِيْلِ الله صَابِراً مُحْتَسِباً؟ قَالَ: «**فَلَكَ الجَنَّةَ**». فَانْغَمَسَ فِيْ العَدُوِّ حَتَّىٰ قُتِلَ[3]. وفي «صحيح مسلم» عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أُفْرِدَ يَوْمَ أُحُدٍ فِيْ سَبْعَةٍ مِنَ الأَنْصَارِ وَرَجُلَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ، فَلَمَّا رَهِقُوهُ قَالَ: «**مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَّا وَلَهُ الْجَنَّةُ، أَوْ هُوَ رَفِيقِيْ فِيْ الْجَنَّةِ**». فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ فَقَاتَلَ حَتَّىٰ قُتِلَ، ثُمَّ رَهِقُوهُ أَيْضاً، فَقَالَ: «**مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَّا وَلَهُ الْجَنَّةُ أَوْ هُوَ رَفِيقِيْ فِيْ الْجَنَّةِ**». فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ فَقَاتَلَ حَتَّىٰ قُتِلَ، فَلَمْ

---

(١) «جامع البيان في تأويل القرآن» للطبري (٣/ ٥٨٣)، و«تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (١/ ٥٢٨).

(٢) «سنن أبي داود» (٢٥١٤)، و«سنن الترمذي» (٢٩٧٢)، وصححه الألباني ﷺ في صحيحي الكتابين المذكورين، وفي «مسند أحمد» (١٨٥٠٠) عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، قَالَ: قُلْتُ لِلْبَرَاءِ: الرَّجُلُ يَحْمِلُ عَلَىٰ الْمُشْرِكِينَ، أَهُوَ مِمَّنْ أَلْقَىٰ بِيَدِهِ إِلَىٰ التَّهْلُكَةِ؟ قَالَ: لَا؛ لأَنَّ اللهَ ﷻ بَعَثَ رَسُولَهُ ﷺ، فَقَالَ: ﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ﴾ إِنَّمَا ذَاكَ فِي النَّفَقَةِ. قال شعيب الأرناؤوط: سبب نزول الآية صحيح من حديث حذيفة، وهٰذا إسناد اختلف في متنه علىٰ أبي إسحاق السبيعي.

(٣) «معرفة السنن والآثار» للبيهقي (١٨١٣١).

يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّىٰ قُتِلَ السَّبْعَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِصَاحِبَيْهِ: «**مَا أَنْصَفْنَا أَصْحَابَنَا**»[1]. قال القرطبي رحمه الله: هٰكذا الرواية «**أَنْصَفْنَا**» بسكون الفاء «**أَصْحَابَنَا**» بفتح الباء؛ أي: لم ندلهم للقتال حتىٰ قتلوا. وروي بفتح الفاء ورفع الباء، ووجهها أنها ترجع لمن فرّ عنه من أصحابه، والله أعلم. وقال محمد بن الحسن: لو حمل رجل واحد علىٰ ألف رجل من المشركين وهو وحده، لم يكن بذٰلك بأس إذا كان يطمع في نجاة أو نكاية في العدو؛ فإن لم يكن كذٰلك فهو مكروه؛ لأنه عرض نفسه للتلف في غير منفعة المسلمين علىٰ بعض الوجوه، وإن كان قصده إرهاب العدوّ ليعلم صلابة المسلمين في الدين فلا يبعد جوازه، وإن كان فيه نفع المسلمين فتلفت نفسه لإعزاز دين الله وتوهين الكفر فهو المقام الشريف الذي مدح الله به المؤمنين في قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ الآية [البقرة:٢٠٧]، إلىٰ غيرها من آيات المدح التي مدح الله بها من بذل نفسه، وعلىٰ ذٰلك ينبغي أن يكون حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أنه متىٰ رجا نفعاً في الدِّين فبذل نفسه فيه حتىٰ قتل كان في أعلىٰ درجات الشهداء، قال تعالىٰ: ﴿وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [لقمان:١٧][2].

لقد توالت النكبات علىٰ العرب والمسلمين بسبب التخاذل والتفرق وتعارض المصالح والخيانات من البعض، وصدق رسول الله ﷺ عندما قال: «**يُوشِكُ الأُمَمُ أَنْ تَدَاعَىٰ عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَىٰ الأَكَلَةُ إِلَىٰ قَصْعَتِهَا**. فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: **بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزِعَنَّ اللهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللهُ فِيْ قُلُوبِكُمُ الْوَهَنَ**. فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ! وَمَا الْوَهَنُ؟ قَالَ: **حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ**»[3].

---

(١) «صحيح مسلم» (٤٧٤٢)، و«مسند أحمد» (١٤٠٨٨).

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (٢/ ٣٦٤، ٣٦٥).

(٣) «مسند أحمد» (٢٢٤٥٠) قال شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن. و«سنن أبي داود» (٤٢٩٩) قال الألباني: صحيح، و«شعب الإيمان» للبيهقي (١٠٣٧٢).

فعلاً نحن الآن غثاء كغثاء السيل، ولٰكن المستقبل إن شاء الله لهٰذه الأمة عندما تتوحد وتأخذ بأسباب القوة، وتعود إلىٰ الله فتنصر دينه، وتخلص لله، وسيأتي إن شاء الله اليوم الذي أخبر عنه رسولنا ﷺ: «**تَقْتَتِلُونَ أَنْتُمْ وَيَهُودُ، حَتَّىٰ يَقُولَ الْحَجَرُ: يَا مُسْلِمُ! هَـٰذَا يَهُودِيٌّ وَرَائِيْ تَعَالَ فَاقْتُلْهُ**»[1]. وهٰذا الحديث من معجزات رسول الإسلام عليه الصلاة والسلام، فقد جاء اليهود من آفاق الدنيا ليقاتلوا المسلمين في بيت المقدس وأكناف بيت المقدس، وسيأتي ذٰلك اليوم إن شاء الله.

إن كل اليهود الذين جاءوا من بلدانهم لاحتلال فلسطين ـ سواء كانوا نساء أو رجالاً، عسكريين كانوا أو مدنيين ـ لا فرق بينهم فهم جميعاً في حكم المقاتلين فيجب قتالهم علىٰ حد سواء؛ لأنهم محتلون، قال الله تعالىٰ: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ﴾ [البقرة: ١٩٠]، مع العلم أن الإسلام لا يبيح قتل الذين لا يشاركون في القتال، فما كان المسلمون في غزواتهم يقتلون النساء والأطفال والفلاحين وكل من لم يقاتل، فقد جاء في الحديث الصحيح عن الربيع بن صيفي قال: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِيْ غَزْوَةٍ فَرَأَىٰ النَّاسَ مُجْتَمِعِينَ عَلَىٰ شَيْءٍ، فَبَعَثَ رَجُلاً، فَقَالَ: «**انْظُرْ عَلَامَ اجْتَمَعَ هَـٰؤُلَاءِ**». فَجَاءَ، فَقَالَ: عَلَىٰ امْرَأَةٍ قَتِيلٍ. فَقَالَ: «**مَا كَانَتْ هَـٰذِهِ لِتُقَاتِلَ**»[2]، ومعنىٰ ذٰلك أنها لو قاتلت لقتلت. ولٰكن هٰذا الحكم لا ينطبق علىٰ الإسرائيليين القادمين من أوطانهم ليستوطنوا فلسطين ويحتلوها ولو لم يباشروا القتال فحكمهم حكم المقاتلين ولو سموا أنفسهم مدنيين، يقول جل في علاه: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ

(١) «صحيح البخاري» (٢٩٢٥)، و«صحيح مسلم» (٧٥٢١)، و«مسند أحمد» (١٠٨٦٩).

(٢) «سنن أبي داود» (٢٦٧١) قال الألباني: حسن صحيح. و«مسند أحمد» (١٦٠٣٥) قال شعيب الأرناؤوط: صحيح لغيره وهٰذا إسناد حسن. و«سنن البيهقي الكبرىٰ» (١٧٨٨٣).

وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ٤١﴾ [الحج]. هٰذا ما يقرره لنا كتابنا ومصدر عزنا ودستورنا ومنهجنا، إنه النور المبين الذي بُعث به النور محمد ﷺ، نور علىٰ نور: ﴿قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٦﴾ [المائدة].



التَّفْرِيْطُ فِيْ الأَقْصَىٰ جَرِيْمَةٌ

المسجد الأقصىٰ في عقيدة المسلمين هو أولىٰ القبلتين، ومسرىٰ سيد المرسلين وخاتم النبيين عليه صلوات ربي وسلامه، قال الله ﷻ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١﴾ [الإسراء]. فكيف إذن يفرّط المسلمون في هٰذا المكان الطاهر الذي جعله الله في أعناقهم يحفظونه من الدّنس؟ فمنذ سنة (٨هـ ـ ٦٢٩م) إلىٰ الفتح الإسلامي عام (١٦هـ ـ ٦٣٧م) لم يدخل اليهود القدس للإقامة فيها، وأكد ذٰلك ما جاء في الوثيقة الشهيرة «العهدة العمرية» إذ اشترطت بناء علىٰ طلب البطريرك (صنو ينوس) ألا يقيم في القدس يهودي، واستمرت علىٰ ذٰلك الحال حتىٰ غزاها الصليبيون وأخذوها من أيدي المسلمين، ثم أعادها صلاح الدين الأيّوبي إلىٰ حكم الإسلام، ولم يفرط فيها المسلمون إلا اليوم في عهد الاحتلال والاستعمار الإنجليزي الذي ساعده بعض من بني جلدتنا علىٰ الدولة العثمانية التي لم تفرط في فلسطين علىٰ الرغم من كل المغريات، وفرّط فيها اليوم مسلمو القرن العشرين. ولقد ذُهِلتُ عندما استمعت إلىٰ برنامج تلفزيوني يتحدث فيه أحد القوميين العرب المثقفين ويهاجم الدولة العثمانية، ويغالط في وقائع التاريخ، ويدافع عن أعوان الاستعمار، ويتناسىٰ موقف السلطان عبد الحميد من محاولات الصهاينة. ونحن لا ندافع عن الدولة العثمانية ولٰكننا عندما نقارن حرصها علىٰ المقدّسات الإسلامية وحرص المسلمين اليوم سواء كانوا عرباً أو أتراكاً نرىٰ الفرق شاسعاً، بل نرىٰ التفريط اليوم من العرب علىٰ وجه الخصوص لا يعادله تفريط، فنرىٰ مثلاً السلطان سليمان الأول الملقب بالقانوني، جدّد عمارة سور القدس، وعمّر قبّة الصخرة سنة ١٥٤٢م، وأنشأ

مسجداً علىٰ جبل الزيتون، وإنشاءات أخرىٰ، فكان عهده خصباً مشرقاً، وأنشأ السلطان مراد الرابع القلعة المسمّاة باسمه قرب برك سليمان الواقعة علىٰ طريق (القدس ـ الخليل) بقصد المحافظة علىٰ المياه التي يشرب منها سكان المدينة المقدّسة، والسلطان محمود الثاني الذي جرت في عهده أحداث جسام، منها حملة نابليون بونابرت سنة ١٧٩٨م؛ وكان الهدف منها احتلال مصر والشام وتوسيع امبراطوريته لٰكن تصدىٰ له السلطان، فلم يتحقق أمله فعاد إلىٰ بلده بخُفَّي حُنين[١]، وفي عهد السلطان عبد العزيز سنة ١٨٦٠م أنشئت الطريق التي تربط يافا بالقدس، والطريق التي تربط القدس بنابلس سنة ١٨٧٠م، وفي عهد السلطان عبد الحميد صدر القانون سنة ١٨٨٢م وهو القانون الذي حرّم هجرة اليهود إلىٰ فلسطين، وحرّم عليهم كذٰلك شراء الأراضي فيها، ثمّ عدّل القانون فسمح لهم بدخول البلاد المقدسة والإقامة بها ثلاثة أشهر فقط بقصد العبادة.
هٰذا وغير ذٰلك مما قام به العثمانيون، لٰكن ماذا عمل القوميّون العرب بعد أن ورثوا دولة العثمانيين، غير التفريط في مكاسب الأمة الإسلامية؟ وماذا عمل القوميّون الأتراك أيضاً غير التنكّر للإسلام والخضوع لأوروبا بعد أن كانت تخشاهم. لقد افترىٰ القوميّون عرباً وتُركاً علىٰ الدولة العثمانية كثيراً، وقالوا: إنها دولة الجهل والتخلف وخاصة في عهد السلطان عبد الحميد. ونحن لا ننكر أن الدولة العثمانية كانت دولة عسكرية أهملت إلىٰ حد كبير التعليم المدني، ولٰكن السلطان عبد الحميد اهتم بإيجاد توازن بين التعليم العسكري والتعليم المدني، فأنشأ كليّات ومدارس عليا ومعاهد فنية لتخريج رصيد بشري مدني من ذوي الخبرة يسهمون في النهوض بالدولة مع اهتمامه في ذات الوقت بالتعليم العسكري والمعاهد العسكرية، واستقدام بعثات عسكرية من ألمانيا لتطوير القوات المسلحة، وتنظيم هٰذه القوات وتدريبها.

(١) مثل يضرب فيمن عاد خائباً خاسراً ولم يحقق هدفه، ولذا قيل أيضاً: أَخْيَبُ مِن حُنَينٍ. انظر: «جمهرة الأمثال» لأبي هلال العسكري (١/ ٤٣٣)، و«مجمع الأمثال» لأبي الفضل النيسابوري (١/ ٢٥٦)، و«طيب المذاق من ثمرات الأوراق» لابن حجة (ص٩٧).

ففي سنة ١٨٧٧م أبدىٰ اهتماماً عميقاً بالمدرسة الملكيّة المدنيّة والمدرسة السلطانية للشؤون المالية ومدرسة الحقوق والتجارة والهندسة المدنية ومدرسة الطبّ البيطري ومدرسة الطبّ البشري، كان التدريس والتدريب فيها طبقاً لأحدث وسائل العصر، وأنشأ جامعة استانبول التي اشتملت علىٰ كل الكليات، كما أنشأ دور المعلمين. فقد كان في طريقه لتطوير الدولة ولٰكن القوميين والاستعمار الإنجليزي والفرنسي تآمروا عليه ومكنوا للصهيونية من السيطرة علىٰ مقدسات المسلمين. وكلنا يعلم أن للماسونية ضلعاً في القضاء علىٰ العثمانيين. وقد كان السلطان مراد الخامس الشقيق الأكبر للسلطان عبد الحميد الثاني والذي لم يدم حكمه سوىٰ ثلاثة أشهر عندما أُقصي عن العرش لإصابته بالجنون انتسب للماسونية عندما كان ولياً للعهد وارتبط بالمحفل الاسكتلندي، وكان صديقاً حميماً لولي العهد البريطاني الأمير إدوارد ملك إنجلترا فيما بعد والذي كان ماسونياً مثله، والمحافل الماسونية هي التي احتضنت حركة (الاتحاد والترقّي)، وهي تعارض الدولة العليّة في عهد السلطان عبد الحميد الثاني، فحركة الاتحاد والترقّي التقت مع حركة القوميين العرب في محاربة الإسلام كدين يجمع كلمة المسلمين ويجعلهم أمة واحدة وكتلة واحدة ضد الاستعمار وأعداء الإسلام، وتغلغلت الماسونية في البلاد العربية والإسلامية، وأشرفت علىٰ سياستها، وقد تأسس أول محفل ماسوني في الأردن سنة ١٩٢٥م، والمحفل الاسكتلندي نقل مكانه من القدس إلىٰ عمّان بعد حرب عام ١٩٦٧م، وفي سنة ١٩٩٤م أصدر البرلمان الأردني قراراً بحظر نشاطات المحافل الماسونية، فحولت نشاطاتها إلىٰ نوادي ثقافية، ومن هٰذه أندية الروتاري والليونز.

إننا نقول لذٰلك المثقف القومي العربي الذي تحدث في البرنامج التلفزيوني ومن علىٰ شاكلته: اقرأوا في التاريخ في سنة ١١٨٣م و١٣٧٤م و١٥١١م، واقرأوا مثلاً كتاب «الغزو الصليبي والعالم الإسلامي» للدكتور علي عبد الحليم محمود، وقارنوا بين ما قام به الأيوبيون والمماليك والعثمانيون من أجل القدس والمسجد الأقصىٰ، وما يقوم به مسلمو القرن العشرين. إنكم

تتهمون العثمانيين بالظلم والاستبداد، فهلا بدأتم بأنفسكم قبل أن تتكلموا!
ومما ينسب لأبي الأسود الدؤلي من الحكمة:

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ المُعَلِّمُ غَيْرَهُ	هَلَّا لِنَفْسِكَ كَانَ ذَا التَّعْلِيْمُ
تَصِفُ الدَّوَاءَ لِذِيْ السِّقَام وَذِيْ الضَّنَى	كَيْمَا يَصِحُّ بِهِ وَأَنْتَ سَقِيْمُ
وَأَرَاكَ تُصلِحُ بِالرَّشَادِ عُقُولَنَا	أَبداً وَأَنْتَ مِنَ الرَّشَادِ عَدِيْمُ
اِبْدَأْ بِنَفْسِكَ فَانْهَهَا عَنْ غَيِّهَا	فَإِذَا انْتَهَتْ عَنْهُ فَأَنْتَ حَكِيْمُ
فَهُنَاكَ يُسْمَعُ مَا تَقُولُ وَيُشْتَفَىٰ	بِالقَولِ مِنْكَ وَيَنْفَعُ التَّعْلِيْمُ
لَا تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِيَ مِثْلَهُ	عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيْمُ

أيها المسلمون! إننا اليوم نرىٰ المتطرّفين اليهود يعبثون بالمسجد الأقصىٰ، وقد سبق أن حرقوه، فأين أنتم؟ وما موقعكم من الإعراب؟ إن العزة والكرامة والمجد والرفعة في التمسك بالإسلام علماً وعملاً، منهجاً وتشريعاً، اهتداءً وتحكيماً، والإسلام واضح كما قال عليه الصلاة والسلام: «**تَرَكْتُكُمْ عَلَىٰ الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ، وَمَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَىٰ اخْتِلَافاً كَثِيراً، فَعَلَيْكُمْ بِمَا عَرَفْتُمْ مِنْ سُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، وَعَلَيْكُمْ بِالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْداً حَبَشِيّاً، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ فَإِنَّمَا الْمُؤْمِنُ كَالْجَمَلِ الْأَنِفِ حَيْثُمَا انْقِيدَ انْقَادَ**»[1]، وقال ﷺ: «**إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ، سَلَّطَ اللهُ عَلَيْكُمْ ذُلّاً لَا يَنْزِعُهُ حَتَّىٰ تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ**»[2]. فلا طريق لإعادة المسجد الأقصىٰ إلا بالجهاد لا الاستسلام، وما ضاع حق وراءه مطالب، والتفريط في القدس والأقصىٰ جريمة لا تغتفر.

---

(١) «مسند أحمد» (١٧١٨٢) قال شعيب الأرناؤوط: حديث صحيح بطرقه وشواهده وهٰذا إسناد حسن، و«سنن ابن ماجه» رقم (٤٣)، وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه».

(٢) «سنن أبي داود» (٣٤٦٤)، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود»، و«سنن البيهقي الكبرىٰ» (١٠٤٨٤).



جَرِيْمَةٌ أُخْرَىٰ فِيْ صَبْرَا وَشَاتِيْلَا[١]

لم تجف بعد الدماء في صبرا وشاتيلا مما فعلته الميليشيات بمؤازرة إسرائيل من ذبح وقتل النساء والأطفال والشيوخ الفلسطينيين، وما زالت الجثث علىٰ حالتها، والأشلاء مبعثرة هنا وهناك، وما زال الجرحىٰ يعانون من جراحهم علىٰ أسرتهم حتىٰ انقض أفرادٌ آخرون وأجهزوا علىٰ البقيّة الباقية في صبرا وشاتيلا بمؤازرة دولة عربية هٰذه المرّة، وارتكبوا مذابح وفظائع ضد النساء والأطفال والشيوخ من الفلسطينيين حتىٰ الجرحىٰ قتلوهم في المستشفيات، وكأن صبرا وشاتيلا وبرج البراجنة ذبيحة قطَّعوها أنصافاً وأرباعاً، ثم قطّعوها ثانية أجزاء وأوصالاً ليسهل ازدرادها وهضمها علىٰ الذئاب الجائعة.

.... كَدَابِغَةٍ وَقَدْ حَلِمَ ٱلأَدِيْمُ[٢]

إنها جريمة ما بعدها جريمة، وبشاعة ما بعدها بشاعة، إن القلب يتفطر ألماً ويتقطع حسرة وأنت تسمع استغاثات الأمهات وصيحاتهن، وتسمع أنين

---

(١) هي مذبحة نفذت في مخيمي صبرا وشاتيلا للاجئين الفلسطينيين بلبنان في منتصف سبتمبر ١٩٨٢م، واستمرت لمدة ثلاثة أيام علىٰ يد الميليشيات والجيش الإسرائيلي. عدد القتلىٰ في المذبحة لا يعرف بوضوح وتتراوح التقديرات بين ٣٥٠٠ و٥٠٠٠ قتيل من الرجال والأطفال والنساء والشيوخ المدنيين العزل.

(٢) عجز بيت صدره: فإنَك والكتابَ إلىٰ عَلِيٍّ. وهو من قصيدة قالها الوليد بن عقبة لمعاوية رضي الله عنه، مطلعها:

أَلَا أَبْلِغْ مُعَاوِيَةَ بْنَ حَرْبٍ ... فَإِنَّكَ مِنْ أَخِيْ ثِقَةٍ مُلِيْمِ

وقوله: «كَدَابِغَةٍ وَقَدْ حَلِمَ الأَدِيمُ» قال أبو عبيد: من الأمثال يقال في الأمر إذا انتهىٰ فساده، وقال المفضّل: إن المثل لخالد بن معاوية السعدي. انظر: «فصل المقال في شرح كتاب الأمثال» للبكري (٤٧٢)، و«مجمع الأمثال» لأبي الفضل النيسابوري (٢/ ١٥٠).

المصابين بين الأنقاض، إنك لتصاب بالكرب والكآبة وينتابك الهلع مما تشاهده من مناظر تقشعر منها الأبدان، وتشمئز منها النفوس، أشلاء ممزّقة، وأطفال وشيوخ بترت أطرافهم، ونساء بقرت بطونهن.

يا لها من فواجع عظيمة منكرة لا يوجد ما يوازيها علىٰ مرّ التاريخ إلا ما فعلت جحافل التتار في بغداد عندما زحفت جحافلهم كالسيول الجارفة العارمة، والزلازل المدمرة، قست القلوب، وسقمت الضمائر، وغلظت الأكباد، فلم يرحموا صغيراً ولا كبيراً، ولم يتركوا أخضر ولا يابساً، وينطبق علىٰ هٰؤلاء المجرمين ما ينسب للمهلهل بن ربيعة:

تَبكي علينا ولا نَبكي علىٰ أحدٍ ... لَنحن أغلظُ أكباداً من الإبلِ

لقد أقضت هٰذه الفواجع مضاجعنا، وآلمت قلوبنا، وتشعّبتنا الهموم، وتقاسمتنا الغموم، ونحن نتساءل كيف يكون هٰذا بين أصحاب القضية الواحدة، كما يقولون ويزعمون؟ إنهم لم يعودوا أصحاب قضية واحدة ولٰكنهم عادوا أصحاب أهواء متضاربة.

تنكّبوا طريق الحق، واتّبعوا السبل فتفرقت بهم عن سبيله، إنهم لا يريدون أن يسلكوا الجادة ولٰكنهم سلكوا طريق الغواية الحزبية والطائفية.

لقد أظهرت هٰذه المعارك ما في دخائل القوم ودفائنهم، فظهر ما استبطنوه وأكنّوه، فجلّلهم العار، وطوّقهم الخزي والشّنار، فكانت سبّة لهم، وسبّة عليهم أبد الدهر إلىٰ يوم يبعثون، يوم توضع موازين القسط والعدل أمام الحكم العدل سبحانه الذي لا تخفىٰ عليه خافية.

إن الذين يتآمرون علىٰ الفلسطينيين ويقتلونهم ويُنهكون قوتهم ويضعفونها إنما يخدمون العدو الإسرائيلي مهما قالوا وتشدّقوا، والذين يفرقون كلمة الفلسطينيين ويصرفونهم إلىٰ قضايا جانبية غير قضيتهم إنما يخونون قضية فلسطين، إذ من كان صادقاً في دعواه أنه يريد عودة فلسطين إسلامية أن يحافظ علىٰ قوة الفلسطينيين ووحدتهم.

إن قضية فلسطين قضية إسلامية من مبدئها، فلا يُتصوَّر أن يتنكر مسلم

لقضية فلسطين ويساوم عليها، أو يفرّط في المسجد الأقصىٰ، أو يتخلّىٰ عن حيفا ويافا، فهي أوطان إسلامية وثغور إسلامية منذ امتدّ الإسلام إلىٰ بلاد الشام. إن أي تفريط في وطن الإسلام وثغوره معناه: التفريط في جسد الأمة وكيانها، ولذٰلك فإن دعاة الإسلام لا يمكن أن يقبلوا بدولة إسرائيل في فلسطين، وأما أصحاب المذاهب الأخرىٰ فلن تمنعهم مبادئهم ومذاهبهم من المساومة والقبول بإسرائيل في يوم من الأيام، وهٰؤلاء اليوم هم من يقوم بتأجيج الفتنة بين الأشقاء، يثيرون نقعها، ويشعلون فتيلها. إن المطلوب منا اليوم أن نُقلِّم أظفار الفتنة، ونغلق بابها بعزل مثيريها عن العمل الفلسطيني حتىٰ لا يُصطلىٰ بنارها النساء والأطفال. وإذا كنا حقاً صادقين فيما ندعو إليه فلنعلنه جهاداً إسلامياً لتكون كلمة الله هي العليا، ويومئذ يتحقق وعد الله ويفرح المؤمنون بنصر الله، قال الله سبحانه: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج]، وقال جل في علاه: ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ [الصف]، وقال سبحانه في تحقيق وعده لأوليائه: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًاۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔاۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور]، فلماذا التقاعس عن نصرة إخواننا؟ وإلىٰ متىٰ الخنوع والذل والهوان علىٰ موائد الاستسلام وقمم الانهزام؟ قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [التوبة]، وقال سبحانه مبيّناً لنا ما به عزنا وصلاح

دنيانا وأخرانا: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٤١﴾ [التوبة]، إنها التجارة الرابحة لنيل السيادة والريادة والقيادة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١١ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٢ وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٣﴾ [الصف].



العدوان على المسجد الأقصىٰ
عُدْوَانٌ عَلَىٰ المُسْلِمِيْنَ كَافَّةً

إنّ ما تقوم به الصهيونية اليوم من هدم للمسجد الأقصىٰ هو إهانة لمشاعر المسلمين، وهو أمر يوجب الجهاد من أجل تحرير فلسطين وإنقاذ المسجد الأقصىٰ، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ۝٤﴾ [الصف]، والبنيان المرصوص هو وحدة المسلمين تحت راية التوحيد وهي الكفيل لتخليصهم من مؤامرات الأعداء قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ [الأنبياء:٩٢]، فالمسجد الأقصىٰ هو أولىٰ القبلتين ومسرىٰ سيد المرسلين ﷺ، فلا مجال للمسلمين للتنازل عنه والسكوت علىٰ انتهاكه وإلحاق الضرر به، فإن الإسلام يرفض ذٰلك ويحمّل المسلمين مسؤولية الجهاد في سبيل الله حتىٰ يُطرد الصهاينة من فلسطين، وينتهي الاحتلال من قبل الأعداء للأراضي المقدسة، ومن تساهل منهم ورضي بالاحتلال وتآمر معهم ضد إخوانه المسلمين فهو من المنافقين الذين قال الله فيهم: ﴿لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ إِن نَّعۡفُ عَن طَآئِفَةٖ مِّنكُمۡ نُعَذِّبۡ طَآئِفَةَۢ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ مُجۡرِمِينَ ۝٦٦ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمُنكَرِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَقۡبِضُونَ أَيۡدِيَهُمۡۚ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۚ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ۝٦٧ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِيَ حَسۡبُهُمۡۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ۝٦٨﴾ [التوبة]، ويقول سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ۝٣٨ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ۝٣٩﴾ [التوبة].

أليس اقتحام قوات الاحتلال الصهيوني ساحة المسجد الأقصىٰ، وقتل المصلين، عدواناً علىٰ حرمات الله وعلىٰ الضعفاء؟ فماذا ينتظر المسلمون بعد ذٰلك العدوان؟! ﴿فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾﴾ [النساء].

إن التاريخ ما زال يذكر مواقف صلاح الدين الحاسمة التي استعاد بها بيت المقدس من أيدي الصليبيين، وفي كتب التاريخ أن صلاح الدين أشرف بجيشه علىٰ بيت المقدس، وكان قد أرسل إلىٰ الأسطول المصري بالخروج إلىٰ مياه فلسطين، فخرج بقيادة حسام الدين لؤلؤ الحاجب وكان من أشجع أمراء البحر وأمهرهم في ذٰلك العصر، وسيطر علىٰ تلك المياه، وقطع السبيل علىٰ سائر السفن الإفرنجيّة التي تحاول الاقتراب من الساحل، وضرب صلاح الدين الحصار حول المدينة المقدّسة وقد شعر بحصانتها ووفرة المدافعين عنها، وضربها بالمجانيق ضرباً شديداً، ورد الإفرنج فضربوا المسلمين بالمجانيق من فوق الأسوار، وقاتلوا أشد القتال، وجرت معارك طاحنة ولٰكن المسلمين شددوا الوطأة علىٰ المدينة المحاصرة، واستمروا في ضربها بشدة، وتمكنوا من نقض السور، فلما شعر الإفرنج بخطورة الموقف استسلموا، وقالوا: إنهم سيضطرون إلىٰ قتل أبنائهم ونسائهم ويخصون أتباعهم إذا لم يقبل المسلمون باستسلامهم، وأنهم قد يخربون الصخرة والمسجد الأقصىٰ، ويقتلون أسرىٰ المسلمين، فعندئذ رأىٰ السلطان نزولاً علىٰ نصح مستشاره أن يقبل منح الأمان لهم ويسلّم المدينة للمسلمين، وأن يعتبر أهلها أسرىٰ يسمح لهم بالفداء خلال أربعين يوماً، ودخل المسلمون بيت المقدس في يوم الجمعة ٢٧/ رجب/ ٥٨٣هـ الموافق ١٢/ أكتوبر/ ١١٨٧م، وكان يوماً مشهوداً، فرفعت الأعلام الإسلامية علىٰ الأسوار، وأنزل الصليب من علىٰ قبة الصخرة، وطهّر

المسجد الأقصىٰ وصخرته من الهياكل والصلبان[1]. واليوم يريد الصهاينة أن يعيدوا بناء الهيكل بعد أن يدمّروا بيت المقدس، ومن المؤسف أن المسلمين في حالة عجز وتخاذل يرون الحفريات في المسجد الأقصىٰ مستمرة وإسرائيل مسيطرة علىٰ فلسطين، والجامعة العربية يجتمع مندوبوها لبحث ما تقوم به إسرائيل في بيت المقدس من دمار.

إن المسلمين عندما فرطوا في أرض الإسراء عاشوا في ذل وهوان، وإن عقدوا العزم علىٰ استردادها عاشوا في عزة ومنعة، وتنزلت عليهم رحمة رب الأرض والسماء.

فلا بد أن يعقد العرب والمسلمون العزم علىٰ استرداد القدس إذا أرادوا الفوز في الدنيا والآخرة كما فعل الصحابة ﷺ عندما فتحوها، فقد أشار معاذ بن جبل رضي الله عنه علىٰ أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه ـ عامل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ـ قال له: اكتب إلىٰ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب تستأذنه في السير إلىٰ بيت المقدس، وعندما كتب أبو عبيدة إلىٰ عمر، جمع عمر رؤوس المسلمين ليستشيرهم ومنهم عثمان وعلي رضي الله عنهما، فأشار علي علىٰ عمر أن يذهب عمر بنفسه إلىٰ بيت المقدس، فأخذ عمر برأي علي، فأمر الناس أن يتأهّبوا للسفر، واستخلف عليّاً علىٰ المدينة، ولمّا وصل عمر أخذ أبو عبيدة يحدّثه بما لقي من الروم، فصلّىٰ الفجر وخطب، ومكث إلىٰ الظهر، وطلب من بلال رضي الله عنه أن يؤذن، وكان بلال قد امتنع عن الأذان بعد وفاة رسول الله ﷺ، ولٰكنه امتثالاً لطلب عمر ومكانة بيت المقدس أذّن ذٰلك اليوم، وتأثّر المسلمون بالأذان، وكادوا يبكون، وكاد بلال أن يقطع الأذان، فلما فرغ من الأذان صلّىٰ عمر وجلس، وبعد أن اشتد الحصار علىٰ الروم خرجوا إلىٰ عمر، يسألونه العهد فلما رآهم عمر علىٰ تلك الحال سجد لله شكراً، ثم أقبل عليهم، وقال لهم: ارجعوا إلىٰ بلدكم ولكم العهد، فلما كان يوم الإثنين دخل

---

(١) ينظر: «الكامل في التاريخ» (١٠/ ١٥٤ ـ ١٥٦)، و«تاريخ الإسلام» للذهبي (٤١/ ٢٤ ـ ٢٨)، و«البداية والنهاية» لابن كثير (١٢/ ٣٩١ ـ ٣٩٧).

إليها، وأقام بها إلىٰ يوم الجمعة، وخطّ محراباً وهو موضع المسجد، وتقدم وصلىٰ بالمصلين صلاة الجمعة، وأقام في بيت المقدس عشرة أيام، ثم ارتحل وأقرهم في بلدهم علىٰ عهدهم وأداء الجزية، ثم ذهب وفد منهم إلىٰ عمر وأعجبوا بتواضع الخليفة وبساطته وأخلاقه فأكدوا عزمهم علىٰ عهدهم بالتسليم وعادوا يذكرون أشياء استغربوها عن بساطة الخليفة في معيشته بالنسبة للعظمة التي كان عليها حكّامهم السابقون، وعمر لم تمنعه بساطته من أن يحكم الجزيرة وسوريا، وأن يطيح بملوك الروم والفرس عن عروشهم، وقد جاء إليه البطريك (صفر وينوس) الذي اشتهر بحماية البيت، واتفق الطرفان علىٰ شروط الصلح[1]. وتبين من الأحداث أن غزو الإسلام للعالم القديم غزو فريد من نوعه، ولذٰلك قال المؤرخ (فون جوت اسميث): «إن الإقبال العام لاعتناق دين علىٰ أثر فتح أجنبي أمر لا يكاد يعرفه العصر القديم، ولٰكن الإسلام يقف وحيداً في هـٰذا الفوز»، ويقول (دوزي): «إن هـٰذه الظاهرة تبدو لأول وهلة لغزاً غريباً ولا سيما متىٰ علمنا أن الدين الجديد لا يفرض فرضاً علىٰ أحد»، فالمسلمون أقاموا العدالة ونشروا الدعوة الإسلامية بالحكمة والموعظة الحسنة، وأزالوا الظلم من البلاد التي دخلوها، أما اليوم فيجب عليهم أن يرفعوا الظلم عن الفلسطينيين الذين يعانون من أفعال الصّهاينة ومواقف الصليبيين.

نسأل الله العظيم أن يعجل بنصره وتمكينه لعباده المؤمنين إنه سميع قريب مجيب.



---

(١) «تاريخ الأمم والملوك» للطبري (٢/ ٤٤٨ ـ ٤٥١)، و«البداية والنهاية» لابن كثير (٧/ ٦٤ ـ ٧٠).

الفِرْعَونُ الأَمْرِيْكِيُّ
أَعْطَىٰ القُدْسَ لِعَبِيْدِ الطَّاغُوْتِ

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾﴾ [القصص]. أمريكا اليوم هي فرعون هٰذا الزمان تتحكم في مصائر الشعوب وأوطانهم، تأخذ من الأرض ما تشاء وتعطي من تشاء. وفي ظل هٰذا التحكّم صدر قانون من الكونجرس الأمريكي وصدّق عليه بوش، يعطي هٰذا القانون القدس لإسرائيل ويعدّها عاصمة لها!! فبأيّ حقٍّ، وبأيّ صفة، وبأيّ منطق، وبأيّ شرعية تخوّل أمريكا لنفسها هٰذا التصرف؟ هناك شعب فلسطيني يعيش علىٰ هٰذه الأرض أرض فلسطين منذ آلاف السنين، وجاء الإسرائيليون من آفاق الدنيا عندما كانت بريطانيا تستعمر فلسطين، وما زال شعب فلسطين يقاوم المحتلين، كان يقاوم البريطانيين، واليوم يقاوم المحتلين الإسرائيليين الذين استقدمتهم بريطانيا بالتعاون مع الصهيونيّة في أمريكا وأوروبا، الشعب الفلسطيني يقاوم المحتلين ليستقل ببلاده كما استقلت الشعوب الأخرىٰ التي كانت مستعمرة لبريطانيا ومنها أمريكا، وإذا كانت الصهيونيّة تتحكّم الآن في أمريكا وتؤثر في قوانينها وقراراتها، فهل هناك في الكونجرس الأمريكي من يفكّر بالعقل والمنطق ويقول: لا حقّ لنا، ولا نملك أن نصدر مثل هٰذه القوانين التي تتعلق بأراضٍ بعيدة عن أراضينا، ولا تدخل تحت السيادة الأمريكية؟

إن العرب والمسلمين يدينون الإرهاب كله (الإرهاب المذموم بالمفهوم الشرعي) سواء كان هٰذا الإرهاب صادراً من بعضهم أو من أمريكا وإسرائيل، فما يجري في فلسطين اليوم من قتل وهدم البيوت وهتك الأعراض من قبل المحتلين الصهاينة بتأييد أمريكي هو أعظم إرهاب.

تتجاهل أمريكا القرارات الصادرة عن الأمم المتحدة ومجلس الأمن التي تؤيد بعض الحقوق الفلسطينية وترمي بها عرض الحائط، مع أنها دائماً تتشدق بما يسمّىٰ بالشرعيّة الدوليّة.

ففي عام ١٩٦٧م صدر القرار رقم (٢٣٧) من هيئة الأمم المتحدة بمنع إسرائيل من كل الإجراءات التي اتخذتها فيما يتعلق بالقدس، والامتناع الفوري عن كل عمل يتعلق بالقدس، وقبل ذٰلك عام ١٩٦٢م أصدر مجلس الأمن قراره رقم (٢٥٢) ونص هٰذا القرار علىٰ أن جميع الإجراءات الإدارية والتشريعية وجميع الأعمال التي قامت بها إسرائيل بما في ذٰلك مصادرة الأراضي والأملاك التي من شأنها أن تؤدي إلىٰ تغيير في الوضع القانوني للقدس، أعدّها القرار إجراءات باطلة لا يمكن أن تغيّر في وضع القدس.

وفي عام ١٩٦٩م أصدر مجلس الأمن قراره رقم (٢٦٧) ودعا القرار إسرائيل أن تبطل جميع الإجراءات التي تؤدي إلىٰ تغيير وضع القدس، ومنعها من اتخاذ إجراءات مماثلة في المستقبل. وعندما أشعل حريق من قبل أحد اليهود في المسجد الأقصىٰ أصدر مجلس الأمن القرار رقم (٢٧١) سنة ١٩٦٩م يدين إسرائيل لفشلها في الالتزام بالقرارات السابقة ودعاها إلىٰ التقيّد بالاتفاقيّات الدوليّة ومنها: اتفاقيات جنيف، والقانون الدولي الذي ينظم الاحتلال العسكري والسماح للمسلمين في الداخل والخارج لإصلاح الأماكن الإسلامية المقدسة، وأصدر مجلس الأمن في سنة ١٩٧١م قراراً بإلغاء كل الأعمال التي تقوم بها إسرائيل.

وصدرت أيضاً عدة قرارات أخرىٰ تؤكد أنّ ما تفعله إسرائيل في القدس انتهاكاً للقانون الدولي. وإذا كانت أمريكا الآن هي التي تنتهك القوانين الدوليّة فهل نستكين ونترك الآخرين يتصرفون في مصائرنا ومقدساتنا وأوطاننا كما يحلو لهم؟ صحيح أننا ضعفاء ولا نستطيع أن نحارب الدول الكبرىٰ التي تقف إلىٰ جانب المحتلين الذين يقتلون شيوخنا ونساءنا وأطفالنا ويخرّبون بيوتنا ومقدساتنا، ولٰكن الضعفاء يتضامنون ويتوحّدون فيكوّنون قوّة يعتد بها، وتفرض مطالبها العادلة أمام الآخرين الذين لهم مصالح تهمهم مراعاتها وعدم تأثرها، ولا يضيع حق وراءه مطالب. وقد دلت أحداث التاريخ أن الحق يعلو ولا يعلىٰ عليه، بشرط أن يكون هناك عزم وتصميم ونية صادقة ووحدة شاملة

بين القيادات والشعوب، والله سبحانه قد أخبرنا بذٰلك في كتابه، قال تعالىٰ: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ۝٦﴾ [القصص]. فلتتكاتف الشعوب الإسلامية مع المسلمين في فلسطين، ولتصمم علىٰ تحرير فلسطين، فلا يعقل أن هٰذه الملايين من الشعوب إذا انطلقت بكل قوّتها وإمكانيّاتها أن تقف في وجهها قوة دخيلة مهما تكن هٰذه القوة فروح الجهاد الإسلامي كفيلة أن تجمع المسلمين تحت راية وشعار تخليص المسجد الأقصىٰ من أيدي الغاصبين، عند ذٰلك سيهزم الظلم: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ۝٤٥﴾ [القمر]. ولا ريب أن هناك مبشرات باستعادة المسلمين اتحادهم وتضامنهم وقوّتهم، فيجب ألّا نيأس ولا نستسلم للواقع المهين، بل يجب أن نعمل ونأخذ بالأسباب، وألا نسمح للسلبيات أن تتحكّم فينا. ولنعلم أن المسلمين بينهم وبين أمريكا مصالح مشتركة، ولٰكن اللّوبي الصهيوني هو المؤثر علىٰ الأمريكيين، وسيأتي يوم إن شاء الله ينتبه فيه الأمريكان ويذهب عنهم التأثير الصهيوني والتأثير الصليبي، ويعرفون مصالحهم علىٰ حقيقتها، ويميزون بين الحق والباطل، ولا بد أن يأتي يوم إن شاء الله يتبين فيه الأمريكيون وغيرهم حقيقة اليهود الصهاينة بأنهم متآمرون علىٰ الشعوب، وأنهم ماديون ظلمة يقدسون المال ولا يخلصون لمن يحسن إليهم، بل يكيدون له ويتربصون به، وتاريخهم الطويل خير برهان علىٰ ذٰلك.

نقول ذٰلك، ولٰكننا لسنا في حالة انتظار حتىٰ يأتي ذٰلك الموقف الأمريكي، وإن كنا نوّد أن يقف معنا كل العالم في قضيتنا العادلة، إننا نعتمد علىٰ ربنا وحده ونتوكل عليه ونعتصم بكتابه مع الأخذ بأسباب النصر والقوة، فإذا فعلنا ذٰلك سيكون النصر حليفنا إن شاء الله، قال تعالىٰ: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝١٠٣ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝١٠٤ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝١٠٥﴾ [آل عمران].

أنقِذُوا الأقْصَىٰ أَيُّها المسلِمُون

يلاحظ أن أمريكا وإسرائيل مصمّمتان علىٰ أن تكون القدس عاصمة لإسرائيل، وأنه ليس للمسلمين أيّ حق في القدس والمسجد الأقصىٰ. المسجد الأقصىٰ اليوم مهدّدٌ بإحداث تغييرات فيه من أجل بناء الهيكل في محل حائط البراق، وفي مقابل التصميم من جانب أمريكا وإسرائيل نرىٰ تقاعساً وتخاذلاً في جانب العرب والمسلمين، والسبب هو الضعف الذي أصابهم نتيجة تفرّقهم وتفكّكهم وعدم استمساكهم بالعروة الوثقىٰ التي لا انفصام لها وهي العقيدة، فجاءت النخبة بأفكار تشكّك في عقيدة المسلمين وتصرفهم عن واجبهم نحو المقدسات وحمايتها، أصبح المسلمون اليوم غثاء كغثاء السيل، فهل ستستمر هـٰذه الحال؟ وإلىٰ متىٰ سيستمر هـٰذا الضعف وهـٰذا التخاذل؟

إنه يجب ألّا نسمح للعناصر الانتهازية أن تتاجر في قضايانا، ولا للعناصر المعادية للإسلام أن تشكك في عقيدتنا وتاريخنا، وتفرّق كلمة المسلمين بإثارة النعرات وتخذيلنا وتخويفنا.

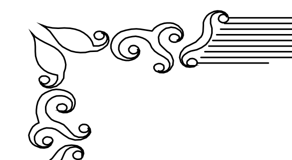
إن المسؤولية الأولىٰ تقع علىٰ عاتق القادة الذين يزعمون أنهم مسلمون، فماذا ينتظرون إذا فرطوا في القدس والمسجد الأقصىٰ؟ قال تعالىٰ: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم﴾ [محمد:٣٨].

عندما تأتي أمريكا وتقيم سفارة لها في أرض هي وقف للمسلمين، لا يحتجّ أحد من هـٰؤلاء القادة ولا يعترض وكأن الأمر لا يعنيه. فبأيّ حقٍّ تستأجر أمريكا من إسرائيل الأرض التي بنت عليها سفارتها وهي لا تملك هـٰذه الأرض، وقد تبيّن أنه لا يحق لدولة إسرائيل قانوناً أن تؤجّر الموقع للولايات المتحدة، ولا يحقّ للولايات المتحدة أن تستأجر، فقد ثبت أن هـٰذه

الأرض موقعاً تملكه الأوقاف الفلسطينية. فالاحتجاج علىٰ أمريكا في هـٰذا الأمر هو أقل ما يمكن أن يفعله هـٰؤلاء القادة، كيف وفلسطين كلها أرض عربية إسلامية ولم يسبق أن كانت هـٰذه الأرض ملكاً لغير العرب والمسلمين في يوم من الأيام.

إن الأمر الأخطر هو أن نجد طوائف من هـٰؤلاء القادة يتعاونون مع الإسرائيليين ويعقدون معهم الاتفاقيات الأمنية، ويتآمرون معهم علىٰ المسلمين المجاهدين. إننا نذكّر هـٰؤلاء بأن يتّقوا الله في ما ولّاهم عليه، ويحافظوا علىٰ ما استؤمنوا عليه، ويحذروا من موالاة الكافرين من اليهود والنصارىٰ وغيرهم، فإنها من أعظم أسباب المروق من الدّين الذي يوجب الخلود في النار عياذاً بالله، قال سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ إِنَّهُمۡ لَمَعَكُمۡۚ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَأَصۡبَحُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَٱلۡكُفَّارَ أَوۡلِيَآءَۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [المائدة].





الكَفَّارَةُ هِيَ أَنْ تَعُودَ القُدْسُ إِلَىٰ المُسْلِمِينَ

قام البابا يوحنا بولس الثاني باسم الكنيسة الكاثوليكية بزيارة إلىٰ الأراضي الفلسطينية وأظهر الاعتذار عن الكاثوليك لما جرىٰ منهم ضد أهالي المنطقة في حروبهم الصليبية والاستعمارية، واعتذر لليهود عن المحرقة النازية.

والواقع أن المسيحيين الغربيين بصورة عامة قد اقترفوا بحق الشعوب في الشرق جرائم لا حدود لها، وأكبر هٰذه الجرائم جريمة ماثلة للعيان اليوم وهي صنع دولة إسرائيل في قلب الأمة الإسلامية، وتمكينها من السيطرة علىٰ المقدسات في القدس الشريف، والتخطيط لجعل القدس عاصمة أبدية لإسرائيل. فإذا كان البابا صادقاً فيما يظهره ويريد إحقاق الحق فعليه أن يعلن خطأ قيام دولة إسرائيل، وأن من الظلم إقامتها وتشريد المسلمين وطردهم من وطنهم، وإحضار غيرهم من أنحاء الدنيا ليحلّوا محلّهم ويقيموا دولة إسرائيل، وأن أرض الميعاد كذبة صهيونية لا حقيقة لها، وأن علىٰ كل من جاء إلىٰ هٰذه الأرض من اليهود أن يعود إلىٰ البلد الذي هاجر منها، هٰذا إذا كان البابا يريد الحق والعدالة.

إن الكفّارة الحقيقية هي أن يعود الفلسطينيون إلىٰ ديارهم، وتعود القدس إلىٰ المسلمين، من قبل أن يأتي يوم كيوم صلاح الدين وليس ذٰلك علىٰ الله بعزيز.



العَدْلُ أَنْ تَعُودَ القُدْسُ إِلَىٰ المُسْلِمِينَ

إن العدل أعظم أسس قوام الحياة، فبالعدل قامت السماوات والأرض، ومن قواعد العدل ألا يطرد المسلمون من أوطانهم وألا تصادر أراضيهم. وإذا كانت إسرائيل تصرّ علىٰ أن القدس هي العاصمة الأبدية لها فهٰذا معناه الحرب حتىٰ تعاد القدس إلىٰ المسلمين، وعلىٰ المسلمين أن يهبّوا لتخليص القدس من أيدي الصهاينة وعليهم إعداد العدة لذٰلك، وإلا فقد تحلّ بهم عقوبة تقصيرهم وتهاونهم نحو القدس.

فما الذي ينقصهم؟ وما الذي يخيفهم؟ فعندهم الإمكانيات البشرية والجغرافية، واليهود في العالم كله لا يزيدون علىٰ أربعة عشر مليوناً تقريباً، وإذا كانت أمريكا هي التي تتولىٰ حماية إسرائيل فأمريكا لها مصالحها النفطية والاقتصادية في المنطقة، وستحسب لذٰلك ألف حساب إن صدقنا مع أنفسنا. إن علينا الاستعداد وتسخير كل إمكانياتنا وجهودنا من أجل إعلاء راية الدين دين السلام الذي بعث به رسول الإسلام عليه أفضل الصلاة وأزكىٰ السلام.

قد يقول البعض: وهل تستحق القدس كل هٰذه التضحيات والدخول في مواجهة مع أكبر قوة عالمية وهي أمريكا؟

نقول: نعم، ليس لأنها بلد إسلامية فحسب؛ بل لأنها أيضاً مقدّسة وفيها أولىٰ القبلتين ومسرىٰ خاتم النبيين وإمام المرسلين المسجد الأقصىٰ، فاستعادتها علامة قوة المسلمين واستعلائهم بدينهم، وذٰلك رمز لوحدتهم، واجتماع كلمتهم، ولمِّ شملهم، وتوحّد صفوفهم في وجه المطامع الصهيونية التي لن تنتهي باحتلال القدس.

إن حالة ما يسمىٰ بالسلام وما فيها من محاولات للتهدئة والتطبيع إنما هي تمهيد لتصفية قضية القدس أولاً، ثم تصفية القضية الفلسطينية كلها،

ويصبح المسلمون والفلسطينيون علىٰ وجه الخصوص المفلس الذي تباع أملاكه وتبقىٰ إسرائيل هي المالك وهي الحاكم في المنطقة، ويعيش من بقي من الفلسطينيين في فلسطين في كنف الدولة العبرية يعيشون في ذل ومهانة، حتىٰ الأذان في المساجد لن يستطيعوا رفعه حتىٰ لا يسبب الإزعاج لأبناء صهيون كما دلت بوادره أخيراً في مدينة حيفا، بل تعدّىٰ الأمر إلىٰ أبعد من فلسطين، فقد طُلِب من بعض الدول العربية حذف الآيات القرآنية التي تتعلق باليهود من مناهج التعليم. ولعل بعضهم قد استجاب لشيء من ذٰلك ورأىٰ أن من الحكمة تقبّل الوضع والتعايش معه. يقول الأمير يحيىٰ بن علي باشا الإحسائي:

يُقْضَىٰ عَلَىٰ المَرْءِ فِيْ أَيَّامِ مِحْنَتِهِ ... حَتَّىٰ يَرَىٰ حَسَناً مَا لَيْسَ بِالحَسَنِ

إنه يتحتم علىٰ العرب والمسلمين إذا أرادوا أن ينقذوا أنفسهم من هـٰذه المحنة أن يتنادوا فيما بينهم، ويوحّدوا صفوفهم، ويجتمعوا علىٰ أمر كتاب الله وسُنَّة نبيه ﷺ، ويعقدوا العزم علىٰ رفض هـٰذا الكيان الدخيل مهما أخذ ذٰلك من وقت وجهد ومعاناة مع الدول الأخرىٰ؛ لأن كل ما يبذل في سبيل ذٰلك لا يساوي شيئاً مقابل الضرر الذي سيحصل للأمة الإسلامية إذا سمح لإسرائيل أن تحقق أهدافها، ومن أهم أهدافها أن تكون القدس عاصمتها.

وقد أُجِّل البحث في مصير القدس في اتفاق أوسلو المزعوم من أجل أن تترسخ هـٰذه الحقيقة في أذهان العرب والمسلمين فلا يطمعون في إثارتها مرة أخرىٰ، وإذا أثاروها فلن يسمع لهم، وسيقال للفلسطينيين: ﴿قُضِيَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ [يوسف: ٤١]، و«الصَّيْفَ ضَيَّعتِ اللَّبَن»[١]. لا أدري كيف وافق المفاوضون ممن هم من بني جلدتنا علىٰ تأجيل قضية القدس إلىٰ المرحلة النهائية للمفاوضات؟ سيقال: لأنها قضيّة شائكة وتتطلب وقتاً طويلاً. ونحن نقول: إن الشائك يتطلب قوة وزخماً، فمن أين القوّة؟ ومن أين الزّخم بعد أن تقمع المعارضة وتتوقف الانتفاضة؟ ولم يبق إلا منطق القوة الذي أصبح بيد إسرائيل، أما قوة المنطق فلم تعد لها فائدة ولا جدوىٰ في النظام العالمي

---

(١) «الزاهر في معاني كلمات الناس» للأنباري (٢/ ١٨٥).

الجديد؛ لأنه يريد سلاماً بلا عدل، القوي فيه يأكل الضعيف، والخصم هو الحكم، وإذلال الناس وإهانتهم من قواعد السلوك.

إِذَا كَانَ القَضَاءُ إِلَىٰ ابْنِ آوَىٰ فَتَعْدِيْلُ الشُّهُوْدِ إِلَىٰ القُرُوْدِ

وإذا كانت الإنسانية كلها قد عانت في تاريخها الطويل من مكائد بني صهيون حتىٰ حل ما حل بهم علىٰ أيدي النازيّين في ألمانيا، فإن الدول الغربية اليوم تريد أن تعوّضهم عما أصابهم باحتلال أرض العرب والمسلمين وانتقاماً للحروب الصليبية؛ فتضرب عصفورين بحجر، فممّا لا بدّ منه أن يتنبّه المسلمون لذٰلك وإلا ندموا حيث لا ينفع الندم. يقول دريد بن الصِّمّة:

أَمَرْتُهُم أَمْرِي بِمُنْعَرَجِ اللِّوَىٰ فَلَمْ يَسْتَبِينُوا الرُّشْدَ إِلَّا ضُحَىٰ الْغَدِ

فكفىٰ المسلمين غفلة، وحسبهم سباتاً، وواجبهم أن تستنفر جميع طاقاتهم لتحرير أرضهم ولتعلو كلمة الله في الآفاق: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [آل عمران]، وكفانا استسلاماً وتبعيّة: ﴿فَلَا تَهِنُواْ وَتَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾﴾ [محمد]، حسبنا أن الله معنا وهو مولانا: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾ [الحج]، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾﴾ [محمد]. إننا إذا نصرنا الله في أنفسنا بالعودة إلىٰ ديننا، وتحكيم شريعة ربنا، وامتثال هدي نبينا عليه الصلاة والسلام كان لنا النصر والسمو والعلو، والتاريخ شاهد، والأيام حبالىٰ بالبشائر والخير بإذن الله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾﴾ [محمد].



«أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ»

عندما تتفق أمريكا وإسرائيل والسلطة الفلسطينية علىٰ المحافظة علىٰ أمن إسرائيل، فماذا تكون النتيجة؟ لا شك أن النتيجة ستكون إعطاء إسرائيل الفرصة لتوسِّع من المستوطنات وتعمل ما تشاء في القدس، وتستمر في مشاريعها لتبني قوتها حتىٰ تتمكن في المستقبل من تحقيق هدف بناء إسرائيل الكبرىٰ من غير أن تجد مقاومة من أي جهة فلسطينية أو إسلامية، وهل هناك بعد هٰذا العمل ما يتيح للفلسطينيين أن يطالبوا بحق أو يحصلوا علىٰ شيء من أرضهم؟ أو تكون النتيجة هي القضاء علىٰ كثير من الآمال التي يمنّي الفلسطينيون أنفسهم بها، ولا تكون هناك إلا دولة إسرائيل فقط؟ لا ريب أن هٰذا هو الذي سيكون إذا استمرت السلطة الفلسطينية في نهجها الذي تنهجه اليوم مع حركة حماس واعتقال مجاهديها، والتضييق عليهم، وعدم مناصرتهم والوقوف معهم، والعالم كل العالم شرقاً وغرباً رأىٰ موقفها من أبنائها في غزة، فلم يكن الحصار الذي فُرض علىٰ غزّة بل ضرب غزّة وقصفها كان علىٰ مرأىٰ ومسمع، وبتأييد فلسطيني داخلي معروف والله المستعان!!.

إنّ السلطة الفلسطينية إذا كانت تريد أن ترضي أمريكا وإسرائيل بهٰذه الأعمال، فإنها بعملها هٰذا تجني علىٰ نفسها وعلىٰ الشعب الفلسطيني، والأمر غير المفهوم وغير المقبول في ميزان العقل والمنطق أن تفوّض السلطة المخابرات الأمريكية حليفة الموساد الإسرائيلي لتكون هي الحكم وتأتمر بأمرها فيما تقوم به من إجراءات ضد المعارضين، وتقوم السلطة الفلسطينية بموجب مذكرة (واي بلاتيشن) بالرضوخ لأوامر المخابرات الأمريكية وإسرائيل، فتلاحق معارضيها وتمارس القمع والإرهاب ضد الشعب الفلسطيني في غزة ورام الله وغيرها. لقد سجنت السلطة رئيس رابطة علماء فلسطين

الشيخ حامد البتاوي وبعض المعارضين من أجل أن تبرهن علىٰ ولائها وإخلاصها لمن له الأمر والنهي في واشنطن، فمنذ اتفاق أوسلو سنة ١٩٩٣م، وقادة العرب يتلقّون التعليمات بالتطبيع مع إسرائيل وملاحقة المعارضين للاتفاق، فمصلحة إسرائيل وأمنها فوق كل اعتبار، وما علىٰ قادة العرب إلا أن ينفذوا الأوامر التي تحفظ كيان إسرائيل وأمنها، أما حقوق شعب فلسطين فلا يلتفت إليها في أيّ اتفاق أو اجتماع.

إن علىٰ المسلمين الصادقين المخلصين التفكير في الطريقة التي يجعلون بها قضية فلسطين والقدس محل اهتمام العالم. فإنّ ما يجري اليوم في العالم هو الظلم بعينه، فلا تُسمع كلمة المظلوم، ولا يعطىٰ صاحب حقٍّ حقه؛ لذٰلك كان علىٰ المظلومين وأصحاب الحقوق أن يفكروا كيف يرفعون الظلم ويأخذون حقهم. فهل فكرنا نحن العرب والمسلمون وقد ظُلِمنا من الدول الاستعمارية، أخذت أرضنا وسلمتها لقمة سائغة لليهود الذين أراد الغرب التخلص منهم فأعطاهم أرض فلسطين بعد أن طُرد الكثير من الشعب الفلسطيني من أرضه، وأصبح اليوم مشرّداً. فكيف نفرط فيها اليوم باتفاقيات زائفة؟ وبأيِّ صفة يتنازل رئيس فلسطين ومجموعته عن حقوق المسلمين؟ هل تملك السلطة الفلسطينية أن توقّع بالتنازل؟ وهل لها الحق أن تنوب عن المسلمين في قضية فلسطين والقدس؟ إن فلسطين وقف إسلامي لا يملك أحد حق التصرف فيه لا رئيس لفلسطين ولا أمريكا ولا إسرائيل ولا أي دولة من الدول، وكما قال العالم المسلم الهندي عبد الرحمٰن صدِّيقي في كلمته في المؤتمر العالمي للدفاع عن فلسطين الذي عقد بالقاهرة في ١٣ شعبان ١٣٥٧هـ الموافق ١٩٣٨م: «إن الآلام التي تحيق بفلسطين لا تحيق بها وحدها، ولا تحيق بأي قطر آخر وحده؛ بل هي آلام تحيق بالعالم الإسلامي والعربي كله، وإن خيانة فلسطين ليست خيانة لها وحدها وإنما هي خيانة لكل مسلمي العالم، ذٰلك أن فلسطين هي بلد العالم الإسلامي». إن السلطان العثماني عبد الحميد الذي يصفه القوميون بصفات التخلف والاستبداد لم يساوم في فلسطين وقال: «لن أفرط في شبر واحد من فلسطين ولو يقطع

جسدي»[1]، فكيف يأتي أناس اليوم قوم من العرب ويدّعون أنهم مسلمون ويفرطون في فلسطين بغير ثمن؟ وإذا كان صلاح الدين الكردي قد أعلن الجهاد من أجل فلسطين، وطرد منها الغزاة الصليبيين، وأعادها إلىٰ المسلمين، فكيف يأتي اليوم قوم من العرب ويدعون أنهم مسلمون من بعده ويتقاعسون عن الجهاد، ويتنازلون عن أراضي فلسطين مقابل منافع خاصة؟: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾﴾ [الأعراف]. كل هٰذه الاتفاقيات والمذكّرات التي تفرط في حقوق المسلمين في فلسطين هالكة ومكسرة وغير معتبرة، وكل ما عملوه باطل: ﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [هود:١٦]، إن العاقبة للمتقين الذين وقفوا مع الحق ولم يفرطوا في حقوق المسلمين، وجاهدوا في الله حق جهاده، ويعانون اليوم من ظلم الظالمين من أبناء جلدتهم الذين غرتهم الحياة الدنيا، وفرطوا في الحقوق من أجل الفانية، وبدلاً من أن يقفوا مع إخوانهم ويجاهدوا معهم وقفوا في جانب العدو، ونفذوا ما أملاه عليهم من ملاحقة المجاهدين وقمعهم؛ انتصاراً للمعتدين، وحماية لهم من ضربات المجاهدين الذين أخلصوا لله في جهادهم، وقدموا كل عزيز وغال في سبيل إنقاذ وطنهم من الاحتلال، قدموا الشهداء من أبنائهم، وضحّوا بكل شيء في سبيل الهدف الأسمىٰ وهو تحرير المقدسات من أيدي الغاصبين، فالشيخ أحمد ياسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ تقدّم الصفوف وهو العليل في جسمه لٰكنه الصحيح في عقله ومنطقه وفكره، صاحب نهج ومبدأ، تبين له الحق من الباطل والخير من الشر، ولم تخدعه الكلمات المعسولة، ولم تستهوه المادة ولا مباهج الحياة الدنيا وأعراضها، وهٰكذا يكون أهل الحق دائماً، هٰكذا يكون الشجعان والأبطال يبذلون أوقاتهم وأرواحهم من أجل أن يحيا الحق ويبقىٰ الحق، لقد شعروا أن فلسطين والقدس أمانة في أعناقهم فلم تسوِّل لهم أنفسهم أن يفرّطوا في جزء منها مهما تكن المغريات ومهما تكن المكاسب، فالمكسب الوحيد عندهم هو تحرير الأرض لينالوا بذٰلك رضا الله،

---

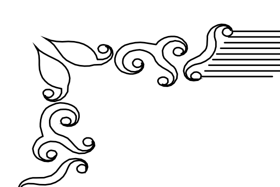
(١) «يوميات هرتزل» (ص٢٢)، «مكايد يهودية عبر التاريخ» (ص٢٧٥).

ويفوزوا بجنة عرضها السماوات والأرض، تركوا الدنيا للذين يتنافسون فيها ببناء الفنادق والقصور والأرصدة في البنوك، لٰكن ماذا يفيد ذٰلك التنافس؟ تنافس في الزائل الفاني، فكل الناس مصيرهم إلىٰ يوم يتمنّىٰ الظالمون فيه أن يتخلّصوا من كل شيء ولو بذلوا ضعف ما في الأرض جميعاً مقابل النجاة من العذاب كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [الزمر]، الذين سولت لهم أنفسهم أن يجاروا الأعداء ويستسلموا لهم، وتصوّروا أنهم بذٰلك يخدمون شعبهم ويحصلون علىٰ حقوقه، هٰؤلاء زيّنت لهم سيئات ما عملوا، وزيّن لهم الشيطان أعمالهم، اتفاقيات الاستسلام للعدو سمّوها اتفاقيات سلام، وبناء المراقص وصالات القمار سمّوها مشاريع اقتصادية تنفع الشعب: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾﴾ [فاطر]، وقال سبحانه: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَـٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾ [الأنفال]، فالشيطان يغرّ المنافقين ويضلهم ويزيّن لهم أعمالهم ثم يتبرأ منهم ويتركهم.

إن مما سجّل التاريخ من المواقف المخزية المهينة في هٰذا الزمان علىٰ أرض الرباط محاصرة الشيخ المجاهد المقعد أحمد ياسين رحمه الله ومنعه من أداء صلاة الجمعة، واعتقال رفاقه من قادة حركة حماس، وهٰذه جريمة ليست في حق الشيخ المقعد ورفاقه وحدهم، بل هي جريمة في حقّ الإسلام والمسلمين وفلسطين والقدس؛ لأنّ أولٰئك الأفذاذ قد نذروا أنفسهم لنصرة الإسلام وتحرير فلسطين والقدس، فيجب علىٰ كل عربي ومسلم أن يقف في جانبهم، والعدوان عليهم عدوان علىٰ الحق وتعدٍّ علىٰ حدود الله، ومحاربة لأوليائه:

﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة:٢٢٩]، إنّ هـٰذا العمل من المحادّة لله ورسوله، والله سبحانه يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُواْ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٍۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٥ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝٦﴾ [المجادلة]، ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْأَذَلِّينَ ۝٢٠ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٢١ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٢٢﴾ [المجادلة]، فالذين يوادّون من حادّ الله ورسوله هم أعوان الشيطان وأنصاره وأولياؤه، يقول الله سبحانه عنهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [المجادلة:١٩].





مَا السَّبَبُ؟ وَأَينَ نَحْنُ؟

ما سبب قيام الطائرات الإسرائيلية من فلسطين المحتلة وقطعها هٰذه المسافة الطويلة لتضرب مقر منظمة التحرير الفلسطينية في تونس من غير أن يعترضها شيء، بل من غير أن تكتشفها أي من الدول العربية الواقعة في هٰذه المسافة؟

وما سبب قيام إسرائيل بضرب المفاعل العراقي قبل ذٰلك من غير أن يتصدىٰ لها أحد؟ وما سبب انتصار إسرائيل في ثلاثة حروب؟ بل ما سبب نشوء دولة إسرائيل في فلسطين وتشريد الشعب الفلسطيني؟

هٰذه الأسئلة المفروض أن يكون ترتيب طرحها بالعكس حسب تسلسلها الزمني، ولٰكن اقتضىٰ وضعها كذٰلك لتداعي الأسئلة في الذهن بعد الحادث القريب الماثل الآن في أذهان الناس[١]، إذ لم يمض عليه وقت ينسىٰ فيه الناس الحادث ويصبح كأن لم يكن كما هي عادته.

ونحن هنا نسأل عن السبب؛ لأنه كما قيل إذا عرف السبب بطل العجب، والسبب هنا معروف؛ ولٰكن كثيراً من الناس يتجاهلون الأسباب الحقيقية للأحداث ويتيهون في تحليلات جانبية أو ينظرون بعيداً من غير أن يلتفتوا إلىٰ مواطئ أقدامهم أو يرون الفيل ويطعنون في ظله.

ولعل الجواب المتبادر لهٰذه الأسئلة أن سبب ذٰلك هو الدول الكبرىٰ

---

(١) كتبت هٰذا الموضوع بعد حادثة ضرب إسرائيل لمقر منظمة التحرير في تونس، وكانت الغارة عند الساعة العاشرة من صباح الأول من أكتوبر/تشرين الأول ١٩٨٥م علىٰ مقر منظمة التحرير الفلسطينية في حي حمام الشط بتونس، وأسفر عن مصرع أكثر من ٦٠ قتيلاً وإصابة عشرات الجرحىٰ الفلسطينيين.

التي أنشأت إسرائيل والتي تمدّها بالأسلحة وتشجّعها علىٰ العدوان وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية، فإنه لولا أمريكا ما حصل كل ذٰلك. ونحن نعرف أن بين إسرائيل وأمريكا ارتباطاً عضويّاً، حتىٰ قالوا: إنها الولاية الواحدة والخمسون. فهل نستطيع نحن أن نمنع أمريكا من مساعدة إسرائيل في العدوان؟ **والجواب**: بالطبع لا؛ لأننا لا نستطيع أن نستغني عن أمريكا فهي التي تقدم الغذاء اليومي من قمحها، وأكثرنا لا يستطيع أن يدفع المقابل فيكون بعضه ديناً، وبعضه هبة فتصبح البلد كلها رهينة بيدها وتكون صديقة لها رغم أنفها.

وقد كانت البلاد العربية والإسلامية في غنىً عن القمح الأمريكي إذ أكثر بلادنا زراعية فأصبحنا بانقلاباتنا المتعاقبة ومشروعاتنا الفاشلة وقوانيننا العقيمة لا نملك رغيف الخبز.

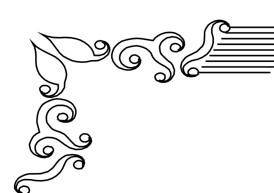
إن إسرائيل تريد ومن هم معها من هٰذه العمليات العسكرية إثبات أن جيش إسرائيل قوة لا تقهر، وأن يدها تطال أي منطقة عربية مهما بعدت، ومسألة ضرب أي منطقة في أي دولة من أي جيش معاد أمر متوقع وممكن وغير متعسر علىٰ إسرائيل.

ونحن نقول: إن الذين يحاولون أن يلقوا في روعنا أن إسرائيل تتفوق علىٰ المسلمين بسبب تميّزها بالتكنولوجيا والسيطرة علىٰ الأسلحة المعقدة وأنه لا مجال للعرب والمسلمين أن يصلوا إلىٰ مستوىٰ قوة إسرائيل، يحاولون أن يقنعوا العرب والمسلمين بأن يسالموا إسرائيل ويقبلوا بها كدولة متحضّرة في المنطقة تقودهم إلىٰ التقدم والتحضر. هٰؤلاء يريدون أن نستسلم للواقع المرير، ونمكِّن أعداءنا من السيطرة علىٰ كل مقدّراتنا، وأن نعيش في هٰذه المنطقة مواطنين من الدرجة الثانية مسخرين للجنس الأبيض في أمريكا وأوروبا التي انتدبت إسرائيل لتقوم بدور المروِّض الذي يحمل السّوط، ويساعده جيش من الحرس والموظفين الصغار من أهل المنطقة لمنع الجموح والهروب من الحلبة.

والواقع الصحيح أن العرب والمسلمين لا تنقصهم الأسلحة فهم يملكون

ما تملكه إسرائيل من طائرات وأسلحة، وقد استطاع الشباب المسلم أن يتعامل مع الأسلحة المعقّدة التي تستعمل في القتال، وإذا كان اليهود الذين جاءوا من أوروبا وأمريكا وروسيا عندهم الخبرة ويتفوّقون في العلم والتكنولوجيا فإن الشباب المسلم عندهم الاستعداد الكامل لكسب الخبرة والتفوق في مجالات العلوم والتكنولوجيا، ولٰكن الخلل أولاً في البعد عن منهج الله ورسوله ثم في القيادات التي تتصارع والتي وجهت كل مخابراتها وأجهزتها إلىٰ القمع الداخلي، وتعطيل الكفاءات، وأصبحت الصولة للنفاق والدجل والتهريج، وانفردت كل دولة بشعبها، واختلفت سياسات الدول، وتوزعت ولاءاتها، وتحكمت الأهواء والأنانية، وأصبحت كراسي الحكم عندهم أهم من الوطن ومستقبله، علىٰ عكس ما نراه في الغرب، فمسؤول في الغرب وإسرائيل قد يتنحىٰ عن المسؤولية إذا حامت حوله شبهات الفساد أو التقصير في العمل. ورأينا التقارب فيما بينهم علىٰ اختلاف أديانهم وأجناسهم وأعراقهم ولغاتهم، رأينا دول السوق الأوروبية المشتركة تتساعد وتتعاون من أجل تقوية اقتصادها وحمايته، وإذا اختلفت هٰذه الدول فلا يتعدىٰ اختلافها المناقشات والمحاورات من أجل الوصول إلىٰ الحل المناسب الذي يحقق المصلحة العامة لشعوبها. فأين نحن؟!!





أَيْنَ السَّلَامُ؟!

ما زالت إسرائيل تقوم بتوسيع مستوطناتها في الضفة الغربية، وما زالت تصرّ علىٰ إقامة مستوطنات جديدة وتستولي علىٰ أراضي الفلسطينيين، معنىٰ ذٰلك أنّ إسرائيل لا تريد السّلام مع العرب، وإنما تريد أن تكبّلهم وتضعفهم بهٰذه الاتفاقيات التي ظاهرها الرّحمة وباطنها من قبله العذاب، فهي تريد إقامة علاقات طبيعية مع الدول العربية أو مع بعضها لتتمكن من السيطرة الاقتصادية، والغرب من وراء إسرائيل يعمل علىٰ تفتيت الأمة العربية والإسلامية وإثارة الخلافات بين الأنظمة العربية، فينفخ فيها ليبقىٰ العرب والمسلمون دائما ضعفاء ولتحقق إسرائيل أهدافها القريبة والبعيدة، وهٰذا ما نراه اليوم يلوح في الأفق.

إسرائيل مصرّة علىٰ احتلال الجولان وجنوب لبنان وتوسيع المستوطنات ليسكنها اليهود، ونحن نتغنّىٰ بالسّلام ولا ندري ما هو هٰذا السّلام، والقادة يغرقون في بهرجة السلطة والبروتوكولات وهيللة الزيارات وفخفخة المواكب.

نحيي الشعب المصري الذي رفض التطبيع علىٰ الرغم من مرور أعوام طوال علىٰ اتفاقية كامب ديفيد، والشعب بكل تياراته ومؤسساته صامد ضد التطبيع، الشعوب لها حساسية خاصة تختلف عن حساسيات القادة وأصحاب القرار. والشعوب الإسلامية خاصة تعرف بأحاسيسها وضمائرها ما يجب عليها نحو عقيدتها ومقدساتها، فهل يعقل أن تتخلىٰ الشعوب الإسلامية عن القدس التي تركت لليهود بحكم السياسات الدولية الضاغطة؟ **والجواب**: لا؛ لأنّ القدس معلّقة بشغاف القلوب لا تقبل الجدل ولا المساومة من أي مسلم يعرف عقيدته.

كانت الفكرة أن تقام لليهود دولة في الأرجنتين ولٰكن الحقد الصليبي

الغربي أراد أن يرمي عصفورين بحجر، أراد أن يحل مشكلة اليهود في الغرب، وأن ينتقم من العرب والمسلمين فأيّد فكرة الحركة الصهيونية لإقامة إسرائيل في فلسطين بناء علىٰ وهم تاريخي.

فقد كان وضع اليهود في الغرب مأساوي وخطير، ولنقرأ بعض صفحات من كتاب ثيودور هرتزل، قال: «لا أحد يستطيع أن ينكر خطورة وضع اليهود فحيثما يعيشون في أعداد ملحوظة نجد أنهم مضطهدون بشكل أو بآخر، لقد أصبحت مساواتهم أمام القانون ـ التي منحها لهم التشريع ـ حبراً علىٰ ورق، فهم محرومون من شغل الوظائف ذات الأهمية النسبية سواء في الجيش أم في أي مجال عام أو خاص، بل إن المحاولات قائمة لإبعادهم عن شتىٰ المهن».

وقال أيضاً: «الحملات عليهم في البرلمانات وفي الاجتماعات وفي الصحافة وعلىٰ المنابر وفي الشوارع وخلال الرحلات فهم مستبعدون مثلاً من فنادق معينة، حتىٰ في أماكن التسلية، كل هٰذا أصبح يتكرر كثيراً في كل يوم. إن أشكال الاضطهاد تختلف طبعاً للبلد أو الوسط الاجتماعي الذي تحدث فيه، ففي روسيا تجمع الضرائب من قرىٰ اليهود، وفي رومانيا يحكم علىٰ بعضهم بالإعدام، وفي ألمانيا يتعرضون للضرب المهين، وفي النمسا يسود العداء للسّاميّة ويمارس الإرهاب علىٰ الحياة العامة لليهود، وفي الجزائر هناك مثيرون للفتن طوّافون في كل مكان، وفي باريس تغلق أمام اليهود ما يطلق عليه اسم الدوائر الاجتماعية الراقية، وهم ممنوعون من الاشتراك في الأندية، وهٰكذا نجد ظلالاً لا يحصىٰ عددها من مشاعر العداء للساميّة، ولٰكننا هنا لسنا بصدد تصوير معاناة اليهود كحالة مأساوية فمن العبث إطالة النظر في التفاصيل مهما كانت مؤلمة».

وقال أيضاً: «لست أعتزم إثارة مشاعر الشفقة علينا فقد يكون هٰذا غباء وعبثاً وعملاً لا كرامة فيه، ومن ثم فسوف أقتصر علىٰ وضع هٰذه الأسئلة أمام اليهود، أليس صحيحاً أنه في البلاد التي نعيش فيها بأعداد ملحوظة فإن أوضاعنا سواء في ذٰلك المحامون أو الأطباء أو الفنيّون أو المدرسون أو الموظفون من كل صنف تتحول من سيئ إلىٰ أسوأ؟».

وقال: «في الواقع أن كل شيء يتجه إلىٰ خلاصة واحدة تعبّر عنها بوضوح العبارة التقليدية في برلين: أيّها اليهود اخرجوا».

وقال: «إن العداء للسّاميّة بين الشعوب يتعاظم يوماً بعد يوم وساعة بعد ساعة، وهي حَرِيةٌ بأن تتعاظم حقّاً؛ لأن أسباب نموها مستمرة في الوجود ولا يمكن إزالتها، فسببها القديم هو فقدانا القدرة علىٰ الاندماج في العصور الوسطىٰ، أمّا سببها الرّاهن فيرجع إلىٰ ظهور أنصاف المثقفين بيننا بأعداد كبيرة وهٰؤلاء لا يجدون متنفّساً أسفلهم أو من فوقهم أعني: أنهم لا يجدون متنفساً صحيحاً في اتجاه. ونحن عندما نفرّق نصبح بروليتاريا ثائرة من أتباع جميع الأحزاب الثوريّة، وفي نفس الوقت عندما نرتفع ترتفع معنا القوة الرهيبة للمال».

إلىٰ أن قال: «هل نختار فلسطين أم الأرجنتين؟ إننا سنأخذ ما يعطىٰ لنا، وما يختاره الرأي العام اليهودي وسوف تقرر الجمعية كلا الأمرين»[١].

إذن نحن المسلمون ضحايا الغرب الذي يريد أن يحل مشاكله ويريد أن يجعل من إسرائيل رأس حربة في البلاد العربية والإسلامية، فهل يمكن أن يخضع العرب والمسلمون لهٰذه المحاولة الغربية؟ قد يقول قائل: إننا ضعفاء ولا نستطيع أن نقاوم محاولات الغرب وعلىٰ رأسها أمريكا، ونحن في هٰذه الحالة من الضعف. ونقول: هٰذا صحيح نحن لا نستطيع في حالتنا الحاضرة أن نقاوم، ولا نستطيع أن نحارب، ولا نستطيع أن نقف في وجه إسرائيل والغرب؛ لٰكن هل نستطيع أن نوحد صفوفنا، وأن نصفّ صفّاً واحداً علىٰ الأقل من الناحية السياسية ولنترك الناحية الحربية، ألا نستطيع أن نقوم بجهد المقل ونحتفظ علىٰ الأقل بهٰذا المستوىٰ حتىٰ يأتي اليوم الذي نستطيع أن نستخلص حقوقنا ونحمي أنفسنا، ولا نفرط من اليوم فتلعننا الأجيال القادمة علىٰ هٰذا التفريط، نحن لا نقول: ادخلوا في الحرب مع إسرائيل وأنتم بهٰذا الضعف، وإنما نقول: لا تندفعوا إلىٰ أوهام السلام فيضيع كل شيء ولن

---

(١) «الدولة اليهودية» لثيودور هرتزل (ص٥٥ ـ ٦٤) باختصار.

تستطيعوا بعد ذٰلك أن تحصلوا علىٰ شيء لا قليل ولا كثير، وعلينا أن نعرف المثل العربي: «إِنَّ فِيْ الشَّرِّ خِيَاراً»[1]، ومعناه: أن بعض الشر أهون من بعض، و«حِيْلَةُ مَنْ لَا حِيْلَةَ لَهُ الصَّبْرُ»[2].

ومن الأمثال التي يجب أن نعيها:

«إِنْ تَرِدِ المَاءَ بِمَاءٍ أَكْيَسُ»[3]، و«لَيْسَ بأَوَّلَ مَنْ غَرَّهُ السَّرَابُ»[4]، و«إِنْ أَرَدْتَ المُحَاجَزَة فَقَبْلَ الْمُنَاجزَة»[5]، و«اَلتَّقَدُّمُ قَبْلَ التَنَدُّمِ»[6]، و«لَا تَكُنْ حُلْواً فتُسْتَرَط، ولَا مُرّاً فَتُعْقِيَ»[7].

المسلمون هم المعتدَىٰ عليهم في كل مكان ويطلب منهم السّلام، وهٰذا

---

(١) «جمهرة الأمثال» لأبي هلال العسكري (١/ ٦٧)، و«مجمع الأمثال» لأبي الفضل النيسابوري (١/ ١١)، و«المستقصىٰ في أمثال العرب» للزمخشري (١/ ٤١٣).

(٢) «جمهرة الأمثال» لأبي هلال العسكري (١/ ٣٥٢)، و«مجمع الأمثال» لأبي الفضل النيسابوري (٢/ ٢٦٥)، و«المستقصىٰ في أمثال العرب» للزمخشري (٢/ ٧٠)، ومعنىٰ المثل: أَنَّ مَنْ لَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَنْفَعَ نَفْسَهُ بِدَفْعِ المَكْرُوهِ عَنْهَا قَدَرَ أَنْ يَصْبِرَ.

(٣) «جمهرة الأمثال» لأبي هلال العسكري (١/ ٧٩)، و«مجمع الأمثال» لأبي الفضل النيسابوري (١/ ٣٢)، و«المستقصىٰ في أمثال العرب» للزمخشري (١/ ٣٧٠)، ومعنىٰ المثل: إن تَرِدَ المَاءَ وَمَعَكَ مَاءٌ إِنِ احْتَجْتَ إِلَيهِ كَانَ مَعَكَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تُفَرِّطَ فِيْ حَمْلِهِ وَلَعَلَّكَ تَهْجُمُ عَلَىٰ غَيْرِ مَاءٍ.

(٤) «مجمع الأمثال» لأبي الفضل النيسابوري (٢/ ١٨١)، و«المستقصىٰ في أمثال العرب» للزمخشري (٢/ ٣٠٤)، ومعنىٰ المثل: رَأَىٰ سَرَاباً فَظَنَّهُ مَاءً فَلَمْ يَحْمِلِ المَاءَ فَهَلَكَ؛ فَهُوَ مَثَلٌ يُضْرَبُ لِغَيْرِ المُحْتَاطِ.

(٥) «جمهرة الأمثال» لأبي هلال العسكري (١/ ٨٣)، و«مجمع الأمثال» لأبي الفضل النيسابوري (١/ ٤٠)، و«المستقصىٰ في أمثال العرب» للزمخشري (١/ ٣٤٥)، ومعنىٰ المثل: أيْ: المُسَالَمَةُ قَبْلَ المُعَالَجَةِ فِي القِتَالِ، أُخِذَتْ مِنَ الشَّيْءِ النَّاجِزِ وَهُوَ الحَاضِرُ، يُضْرَبُ فِيْ حَزْمِ مَنْ عَجَّلَ الفِرَارَ عَمَّنْ لَا قِوَامَ لَهُ بِهِ.

(٦) «مجمع الأمثال» لأبي الفضل النيسابوري (١/ ١٣٦)، و«المستقصىٰ في أمثال العرب» للزمخشري (١/ ٣٠٦)، ومعنىٰ المثل: أُنْجُ بِنَفْسِكَ قَبْلَ أَنْ لَا تَقْوَىٰ فَتَنَدَمَ.

(٧) «مجمع الأمثال» لأبي الفضل النيسابوري (٢/ ٢٣٢)، و«المستقصىٰ في أمثال العرب» للزمخشري (٢/ ٢٥٨)، ومعنىٰ المثل: لَا تَتَجَاوَزِ الحَدَّ فِيْ المَرَارَةِ فَتُرْمَىٰ، وَلَا فِي الحَلَا فتُبْتَلَعَ؛ أَيْ: كُنْ مُتَوَسِّطاً فِيْ الحَالَيْنِ.

من الحيف والظلم الذي لا يقرّه عقل ولا نقل، وهدف المعتدين من الصهاينة ومن يسير في فلكهم هو القضاء علىٰ الإسلام، وأن يبقىٰ أهله يعيشون الذل في كل مكان، إنهم يريدون منّا أن نكون أتباعاً، بدل أن نكون متبوعين، يريدون منّا أن نكون في المؤخرة بدل أن كنا في المقدّمة، والله معنا إن استمسكنا بوحيه، واعتصمنا بحبله، واستضأنا بنوره: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [التوبة].



﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾

لقد أثبتت الأحداث أن السّلام بين المسلمين وإسرائيل من المستحيلات ولا يمكن أن يتحقق بأي حال من الأحوال مهما زخرفوا من الأقوال: ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢].

فما الحديث عن السّلام إلا من قبيل الخرافة التي يصدّقها بعض الناس ويروّج لها. ويستشهد هٰؤلاء الخرافيون باتفاق كامب ديفد الذي عقده السّادات. وينسىٰ هٰؤلاء أن الشعوب ترفض هٰذه الاتفاقيات؛ لأنها اتفاقات باطلة تعبّر عن اتجاه طائفة سعت إلىٰ مصالحها علىٰ حساب مصالح الشعوب، ولو جرىٰ استفتاء شعبي علىٰ مثل هٰذه الاتفاقيات لرأينا رفض الشعوب لهٰذا الاستسلام الذي يسمىٰ بالسّلام زوراً وبهتاناً. والدليل علىٰ ذٰلك صرخات الشعوب وتنديدها ومظاهراتها ضد الكيان المحتل.

لقد عمدت أمريكا وإسرائيل إلىٰ التفرد بكل دولة عربية لها حدود مشتركة مع فلسطين والاتفاق معها علىٰ حدة حتىٰ يكون التفاوض معها من مركز قوة في الجانب الإسرائيلي مقابل مركز ضعف في الجانب العربي، ثم التفرد بمنظمة التحرير أو مجموعة من الفلسطينيين ليعطوهم شيئاً قليلاً من الأرض ليقيموا عليه شبه دولة في كنف إسرائيل وتحت إشرافها وهٰذا كل ما حصل ويحصل، وبقيت سوريا ولبنان وما سيكون معهما من حل سيكون مماثلاً لما كان مع مصر والأردن وفلسطين. فالسلام المنشود هو أن تكون إسرائيل وحدها القوة الضاربة في المنطقة، ويقول نتنياهو في كتابه: «إن إسرائيل سيكون عدد سكانها في عام ٢٠٢٠م ثمانية ملايين، وستمتلك قوة اقتصادية وتكنولوجية متطوّرة، وقدرات عسكرية هائلة توفر لها تأثيراً إقليمياً ودولياً بارزاً

يضمن لها تفوقاً ساحقاً علىٰ مجموع العرب ولآماد طويلة».

وإذا كانت الدول الكبرىٰ التي يلجأ إليها هٰؤلاء الخرافيون هي التي تساعد إسرائيل وتشجعها علىٰ عدوانها، فماذا يؤمل من هٰذه الدول التي تدّعي رعايتها للسلام؟ وكيف نجعل هٰذه الدول هي الحكم والمرجع لتحقيق العدل؟ يقول أبو الطيّب:

يَا أعدَلَ النّاسِ إلّا في مُعامَلَتي **فيكَ الخِصامُ وَأنتَ الخصْمُ وَالحكَمُ**

فليس الحل إذن أن نلجأ إلىٰ هٰذه الدول لنستغيث بها، ونطالبها بالإنصاف فهي قد قالت كلمتها وأعلنت تحيزها، وإنما ضمان النجاح والوصول إلىٰ الهدف هو الثبات والتصرف بحكمة وتعقّل وإخلاص في القول والعمل، يرشّد ذٰلك المنهج القويم والصراط المستقيم الذي ورثناه عن خاتم النبيين وسيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، أعني بذٰلك الوحيين كتاباً وسُنَّة: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء:٩]، وقال سبحانه: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الأنبياء]، وفي الحديث عن المعصوم ﷺ: «**إِنِّيْ قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ فَلَنْ تَضِلُّوا أَبَداً كِتَابَ اللهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ**»[1].

التاريخ يقول: إن أمريكا أيام الانتداب البريطاني في فلسطين كانت تقف إلىٰ جانب الحق في المسألة الفلسطينية وذٰلك قبل أن تسيطر الصهيونية علىٰ أمريكا، فقد جاء في تقرير اللجنة الأمريكية في فلسطين سنة ١٩١٩م: «إن ادِّعاء اليهود بحقهم في فلسطين أمر لا يمكن أن ينظر إليه نظرة جديّة، ولذٰلك يجب أن يصرف النظر نهائياً عن جعل فلسطين دولة يهودية». بينما كانت بريطانيا في ذٰلك الوقت تشجّع اليهود علىٰ الهجرة إلىٰ فلسطين، وتمكنهم من الاستيلاء علىٰ الأرض حتىٰ أن الميجر البريطانيساندرس كان يوزع السلاح

(١) «موطأ مالك» (١٥٩٤)، و«المستدرك علىٰ الصحيحين» للحاكم رقم (٣١٨)، وصححه، قال الذهبي: وله أصل في الصحيح. و«سنن البيهقي الكبرىٰ» (٢٠١٢٣)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» رقم (٤٠).

علىٰ اليهود ويجند بعضهم في الفرق النظامية، وبدأ الفلسطينيون وحدهم يخوضون المعارك مع اليهود المسلحين وحكومة الانتداب بجيوشها، وللشاعر الفلسطيني عبد الكريم الكرمي من قصيدة له بعنوان: «لهب القصيد» يخاطب فيها ملوك المسلمين وحكامهم:

قُومُوا انْظُرُوا مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ ... يَصِيْحُ دَمُ الشَّهِيْدْ
قُومُوا انْظُرُوا الوَطَنَ الذَّبِيْحَ ... مِنَ الوَرِيْدِ إِلَىٰ الوَرِيْدْ

أمّا اليوم فأمريكا هي التي تشجع إسرائيل علىٰ العدوان واغتصاب الأرض وتفرض سيطرتها وهيمنتها علىٰ المنطقة ومع ذٰلك تدّعي الصداقة مع العرب، وأنها ترعىٰ السلام العادل الشامل الكامل.

ليس المطلوب اليوم أن يدخل العرب والمسلمون في حرب عسكرية مع الغرب الكافر المتمثل في أمريكا وأعوانها، ولٰكن عليهم أن يقاوموا النفوذ الصهيوني وتأثيره علىٰ القرار الأمريكي، فإذا توحدت كلمتهم، وصدقت نياتهم، وثبتوا علىٰ مطالبهم العادلة، وتمسكوا بحقهم، فلا بد أن يتحقق لهم ما يريدون من اعتدال وحياد أمريكا والغرب الكافر بأسره، فما دام هناك تضامن إسلامي والتزام بمنهج الحق فهم منصورون بإذن الله تعالىٰ. يقول قيس بن الخطيم:

مَتىٰ ما تَقُدْ بالباطلِ الحقَّ يأبَهُ ... وَإنْ قُدْتَ بالحقّ الرَّواسيَ تَنْقَدِ
مَتىٰ ما أتَيْتَ الأمْرَ مِنْ غَير بابهِ ... ضَلَلْتَ وَإنْ تَدْخلْ مِنَ البَابِ تَهْتَدِ

إنّ اليهود لا يتعاطف أحدٌ معهم في العالم إلا لمصلحة معيّنة؛ لأن الشعوب تكرههم بسبب خبثهم واستغلالهم، وذٰلك ما جعل النازيّين يفعلون بهم ما فعلوا، والغربيون ما شجّعوهم علىٰ الهجرة إلىٰ فلسطين وساعدوهم إلا من أجل التخلص منهم، وقليل من المسيحيين البروتستانت انطلىٰ عليهم خرافة دولة إسرائيل وقيام المسيح فيها.

إن المسلمين لن يستعيدوا بيت المقدس إلا إذا تخلَّقوا بأخلاق عمر بن الخطاب ﵁ وصلاح الدّين الأيوبي لا بأخلاق الجبّارين، ولا بأخلاق المنافقين، ولا بأخلاق الجبناء الخائنين من العدو والمتجبرين علىٰ الصديق،

وقد سأل علي بن أبي طالب ﵁ ابنه الحسن عن أشياء من المروءة، وكان من بين أسئلته: فما الجبن؟ فقال: «هو الجرأة علىٰ الصَّديق، والنّكول عن العدوِّ»[1]. ومن المؤسف أن سلام الشّجعان اليوم أصبح الجرأة علىٰ الأقارب والأهل ومطاردتهم، ومداهمة بيوتهم، والنكوص أمام العدو ومساعدته في القضاء علىٰ حركة المقاومة الإسلامية التي هي الأمل والرصيد لردع العدو وصدّ العدوان وتحرير الأرض.

لن يحصل المسلمون علىٰ الأمن والأمان في فلسطين؛ إلا إذا استطاعوا أن يهزموا الأعداء، ولن يستطيعوا ذٰلك إلا إذا استمسكوا بالإسلام وأخذوا حذرهم من العلمانيين.

إننا أمام عدوٍّ ماكر، قوّته هي ضعفنا واختلافنا وإعراضنا عن ديننا الذي أمرنا بإعداد كل قوة لمواجهته: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾﴾ [الأنفال].

يقول بعض الناس: إنه ما دام أن إسرائيل قد جنحت للسِّلم فلا بد أن نقبل وندخل في هٰذا السلم، أو السلام الذي دعت إليه أمريكا مما سمّوه اتفاق مدريد وأوسلو. والواقع أن إسرائيل لم تجنح للسِّلم وإنّما نحن الذي جنحنا واستسلمنا له، والله يقول: ﴿فَلَا تَهِنُواْ وَتَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ﴾ [محمد:٣٥]، نعم نحن الأعلون إذا توحَّدت كلمتنا، وأخلصنا النية؛ لأننا ندافع عن الحق، وندافع عن مقدساتنا، والله ناصرنا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾﴾ [محمد].

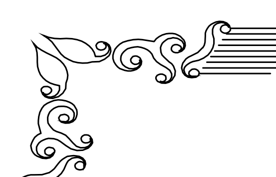
إن الذين دخلوا مع إسرائيل في اتفاقيات هم اليوم يولولون وهم يرون نتنياهو يعلن تنصل إسرائيل من كل اتفاق فيه أي تنازل مما يعده أراضي إسرائيل الكبرىٰ، وقد أراد الله أن يكشف مساوئ هٰذه الاتفاقيات لتستبين

---

(١) «البداية والنهاية» لابن كثير (٨/ ٤٤).

سبيل المجرمين، وتتضح طريق المنافقين: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾﴾ [آل عمران]. نسأل الله العزة والنصر والتمكين لأمة الإسلام، إنه سميع مجيب.





وَا أَسَفَاه

إنهم يهوون بفؤوسهم علىٰ هامة الحق، ويحطّمون الأمل، ويذبحون فرسان معركتنا، ويغتالون فجرنا الصادق. يا للهول ما هـٰذا الذي نفعله بأنفسنا إنه العذاب؟! إن بأسنا بيننا لشديد، يا للعار! يا للشنار! نضرب محبوبتنا، ونبقر بطنها، ونمزّق جسمها قطعاً وأشلاء؛ تسهيلاً لمهمة السباع المفترسة والكلاب الضارية. لقد أطعمنا السباع والكلاب الجسد الطاهر بعد أن شرحناه وقددناه لها فأصبح لقمة سائغة، يا لفرح إسرائيل وهي ترىٰ أن أيدي عربية تقوم عنها في الإجهاز علىٰ أكبر أعدائها، إنها لتتيه من الفرح والنشوة وهي ترىٰ أصحاب القضية يقتتلون فيما بينهم، ويمزِّقون صفوفهم، ويشتِّتُون جهودهم ويُفْنُون قوَّتهم، وإسرائيل تنام قريرة العين هادئة البال علىٰ أرض فلسطين التي اغتصبتها. يا قوم! لماذا هـٰذا القتال بينكم؟ ولماذا الخلف؟

إن فلسطين وأجزاء من بلاد العرب تحتلها إسرائيل، فهل بالقتال بيننا نستعيد ما فقدناه؟ وهل بالاختلاف والتنافر والكيد لبعضنا ندحر عدونا المشترك؟ لماذا لا نحكِّم شريعة الله فينا ونتحاكم إلىٰ كتاب الله إذا تخاصمنا إن كنا من أهل الإيمان؟ أليس الله يقول: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥١﴾ [النور]. إن الدماء التي تنزف الآن، والتشتيت لرجال المقاومة له عواقب وخيمة علىٰ مستقبل العرب والمسلمين قاطبة، ومن يظن أن الصراع علىٰ الكراسي والزعامات سيأتيهم بالنصر فهو خاطئ واهم. فإن كنا بحق مسلمين مؤمنين كما ندّعي فأين نحن من قول النبي ﷺ في خطبة الوداع: «**إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَـٰذَا، فِيْ شَهْرِكُمْ هَـٰذَا، فِيْ بَلَدِكُمْ هَـٰذَا،**

ثُمَّ قَالَ: **أَلَا لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّاراً يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ**»[1].

إن قول كلمة الحق في حينها هي التي تفصل النزاع بين المتخاصمين، وعندما يتستر الناس علىٰ المبطل ويداهنون ويجاملون علىٰ حساب الحق ولا يقولون للمسيء أسأت وللمحسن أحسنت يتسع الخصام والنزاع، ويستشري الشر، فتكون للباطل صولة وجولة فيصعب كبحه وردعه، ولذٰلك طالبنا الله في القرآن الكريم أن نصلح بين الإخوة وأن نقف مع المحق ضد المبطل في حالة عدم الانصياع للحق إن كنا بحق مسلمين مؤمنين كما ندّعي قال تعالىٰ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الحجرات].

إن قلوب المخلصين للقضية الفلسطينية لتنزف دماً علىٰ ما يجري علىٰ أرض فلسطين للمقاومة الباسلة التي هي بمثابة العمود الفقري للجسم، فكيف يعيش الجسم إذا حطم وكسر عموده الفقري؟ ومما يحزُّ في النفس ويزيد الأسىٰ والضيق والحنق والغليان فيها أن من يهوُون بمعاولهم للتحطيم هم الأقربون، ممن همّهم مصالحهم وكراسيهم، لذا ركنوا إلىٰ العدو، فرفعوا معاولهم علىٰ إخوانهم المخلصين المرابطين المقاومين للمحتل الصهيوني.

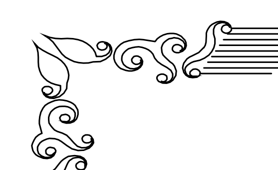
يقول طرفة بن العبد:

وَظُلْمُ ذَوِيْ القُرْبَىٰ أَشَدُّ مَضَاضَةً ... عَلَىٰ المَرْءِ مِنْ وَقْعِ الحُسَامِ المُهنَّدِ

وأما إن كنّا ندعي الإسلام ونحارب شريعته، ونتآمر علىٰ المخلصين من المجاهدين ونتربص بهم الدوائر، فلسنا بمسلمين ولا بمؤمنين، ولسنا نحن المخاطبين بتلك الخطابات الشرعية المذكورة، فالإسلام قول وعمل لا مجرد ادعاء.

---

(١) «صحيح البخاري» (١٧٣٩)، و«صحيح مسلم» (٢٣٢، ٣٠٠٩)، و«مسند أحمد» (٢٠٦٨٥).



مَا أَشْبَهَ اللَّيْلَةَ بِالبَارِحَةِ!!

إنّه لأمر مؤسف جدّاً أن يحدث مثل هٰذا الخذلان تجاه أحداث غزّة والأقصىٰ، يسقط عشرات القتلىٰ والجرحىٰ ولا تحرك الحكومات العربية ساكناً سوىٰ الندب والشجب، والسلطة الفلسطينية تقف موقف المتفرج أو المندِّد أو الشَّامت المُعيِّر لقادة غزة والمجاهدين. فإلىٰ متىٰ اللَّهث وراء موائد السّلام المهين، وتنديدات الذلّ المشين، كفىٰ ضحكاً علىٰ الذقون، كفىٰ تملُّقاً وخنوعاً، كفىٰ انهزاميَّةً وضعفاً، كفىٰ ركوناً إلىٰ العدو الصهيوني وكذا الغرب اللئيم، إلىٰ متىٰ يظلُّ التمسُّح بأعتابهم، والوقوف علىٰ أبوابهم؟ لماذا يكونون أشداء وقساة وغِلاظاً علىٰ إخواننا المجاهدين، ورحماء هيِّنين ليِّنين مع الأعداء الإسرائيليين؟ يا لها من مصيبة!

إن هنا أناساً من اليهود بل وبعضهم من بني جلدتنا من يمثِّل دور شاس بن قيس، فقد روت كتب السير والمغازي أن شاس بن قيس اليهودي كان شيخاً قد عتىٰ في الجاهلية، عظيم الكفر، شديد الضغن علىٰ المسلمين، شديد الحسد لهم، مرّ علىٰ نفر من أصحاب رسول الله ﷺ من الأوس والخزرج في مجلس قد جمعهم يتحدثون فيه، فغاظه ما رأىٰ من اجتماعهم وألفتهم وصلاح ذات بينهم علىٰ الإسلام بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية، فقال: «قد اجتمع ملأ بني قيلة بهٰذه البلاد، والله ما لنا معهم إذا اجتمع ملأهم من قرار، فأمر فتىً شاباً من اليهود وكان معه، فقال: اعمد إليهم فاجلس معهم وذكِّرهم يوم بعاث وما كان قبله، وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار، فكان يوم بعاث يوماً اقتتلت فيه الأوس والخزرج وكان الظفر فيه للأوس علىٰ الخزرج، ففعل، فتكلم القوم عند ذٰلك، فتنازعوا وتفاخروا حتىٰ تواثب رجلان من الحيَّين علىٰ الرُّكب، فتقاولا، ثم قال

أحدهما لصاحبه: إن شئتم والله رددناها جذعة. وغضب الفريقان، فقالوا: قد فعلنا، السِّلاح السِّلاح! موعدكم الظاهرة (الحرة)، فخرجوا إليها، وتحادَّ النَّاس، فانضمَّت الأوس بعضها إلىٰ بعض، والخزرج كذٰلك علىٰ دعواهم التي كانوا عليها في الجاهلية. فبلغ ذٰلك رسول الله ﷺ، فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين من أصحابه حتىٰ جاءهم، فقال: «**يَا مَعْشَرَ المُسْلِمِين الله الله! أَتَدْعُونَ بِدَعْوَىٰ الجَاهِلِيَّةِ وَأَنَا بَينَ أَظْهُرِكُم بَعْدَ أَنْ هَدَاكُمُ الله إِلَىٰ الإِسْلَامِ، وَأَكْرَمَكُمْ بِهِ، وَقَطَعَ عَنْكُمْ أَمْرَ الجَاهِلِيَّةِ، وَاسْتَنْقَذَكُمْ بِهِ مِنَ الكُفْرِ، وَأَلَّف بَيْنَكُمْ، تَرْجِعُونَ إِلَىٰ مَا كُنْتُمْ عَلَيْهِ كُفَّاراً**». فعرف القوم أنها نزعة من الشيطان، وكيد من عدوهم، فألقوا السلاح من أيديهم، وبكوا، وعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضاً، ثم انصرفوا مع رسول الله ﷺ سامعين مطيعين، قد أطفأ الله عنهم كيد شاس بن قيس وما صنع، فنزلت بعد ذٰلك الآيات الكريمة:

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ۝٩٨ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝٩٩ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ۝١٠٠ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝١٠١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ۝١٠٢ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝١٠٣﴾ [آل عمران][1].

وكما كان اليهود يقومون بالفتنة بشقِّ الصفِّ الإسلامي يقوم أيضاً المنافقون اليوم ممن هم من بني جلدتنا بنفس الدور، ويعمل اليهود والمنافقون كفريق واحد لتحطيم معنويات المسلمين، وإثارة الفرقة بينهم، والكيد

---

(١) «السيرة النبوية» لابن هشام (٣/ ٩٤)، و«الروض الأنف» للسهيلي (٤/ ٣٥٨)، و«سبل الهدىٰ والرشاد في سيرة خير العباد» (٣/ ٣٩٩).

للإسلام، والتشكيك في أحكامه، كلٌّ يعمل من جهته، فاليهود والنصارىٰ والمشركون معروفون ومكشوفون للمسلمين، ولٰكن المنافقين عدوٌّ خفيٌّ ينخر في جسد الأمّة، وقد كشفهم الله بالوحي بما وصف به أسلافهم ممن كانوا علىٰ عهد النبي ﷺ، فالمنافقون هم المنافقون أمس واليوم وغداً، سلالة واحدة، قال الله سبحانه: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُواْ قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْ قُلْ فَٱدْرَءُواْ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾﴾ [آل عمران].

إنّ الذين يعملون من أجل عزة الإسلام واستعادة القدس من أيدي الغاصبين هم المؤمنون حقاً حتىٰ لو قال لهم الآخرون: أنتم تيّار الإسلام السياسي، وهل هناك إسلام بغير سياسة؟ فمحمد ﷺ وأصحابه ﭫ كوّنوا دولة، وقاموا بالجهاد في سبيل الله، وحكّموا شريعة الله في شؤون حياتهم السياسية والاقتصادية والثقافية وغير ذٰلك، فهل نقول: إنّ محمّداً ﷺ وأصحابه ﭫ كانوا علىٰ خطأ، والذين تخلّوا عن ذٰلك ممن يدَّعي الإسلام في هٰذا الزمان وتبنّوا أفكاراً منافية له، وحصروه في مراسم معينة هم علىٰ صواب؟

إن سرّ قوتنا أن نتلاحم ونتجمع علىٰ الحق، ولا يكيد بعضنا لبعض، وإلا تخطّفتنا يد الأعداء جميعاً، وعلينا أخذ العبرة من أحداث التاريخ، فالأعداء من اليهود كثيراً ما يستفيدون من أحداث التاريخ.

ففي سنة ١٩٥٥م، وجه المؤرخ البريطاني أرنولد توينبي في مجلة «فرونت بيج» إلىٰ الشعب اليهودي في إسرائيل باسم التاريخ تحت عنوان: «لا تقترفوا أخطاء الصليبيين» ينصح فيه بدراسة تاريخ البلاد المقدسة في فترة الحملات الصليبية، والتشابه الكبير بين تلك الأوضاع والظروف الحالية التي تعيشها المنطقة. وفيما يلي إنذار توينبي ونصيحته: «إن العبرة فيما آلت إليه قلة من الصليبيين التي استوطنت هٰذه البلاد، وتحدثت بلغة أهلها، واقتبست

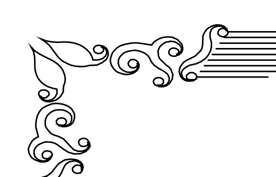
تراثهم، وسالمتهم وتآخت معهم، ربطت مصيرها بمصيرهم، فكان لها كريم العيش علىٰ أرضهم بينما الأكثرية الساحقة من الصليبيين تعالَوا عن الاندماج، واستمروا في عليائهم، فوجدوا أنفسهم في يوم بعد معركة حطين غير قادرين علىٰ الاستمرار علىٰ العيش فوق ترابها، فخرجوا.

وكان التخلف والتفسخ والفوضىٰ والفساد تجثم علىٰ صدور المسلمين... فصال الصليبيون وجالوا، وانتصروا في عشرات من المعارك، وهددوا واستفزّوا ما شاء لهم زهوهم وخيلاؤهم ـ معتقدين أنهم قادرون علىٰ طرد المسلمين وطمس معالم العروبة في هٰذه البلاد بحد السيف تماماً كما اعتقد حكّام إسرائيل بعد كل جولة منذ عام ١٩٤٨م، وما يزالون يعتقدون بأنهم قادرون علىٰ فرض شروطهم للتعايش مع المسلمين من موقف القوي، غير أنّ انكسارات المسلمين المتتالية في عهد الصليبيين قد فتحت عيونهم علىٰ عيوبهم، فعرفوا أنّ سر قوتهم في وحدتهم وتفانيهم، ووراء صلاح الدّين ساروا فقطفوا ثمار النصر يوم ٣ تموز سنة ١١٨٧م في حطِّين. لقد كسب الصليبيون علىٰ المسلمين في مدة تسعين عاماً تقريباً فترة حكمهم في المنطقة كثيراً من المعارك إنما خسارتهم لمعركة واحدة فقط خسّرتهم الحرب، فتبخّرت أحلامهم وآمالهم؛ ولذا لم يروا سبيلاً سوىٰ ركوب البحر والعودة إلىٰ أوطانهم الأصلية. وكما ذاق الأجداد الهزيمة جرعة جرعة فكذٰلك يذوق الأحفاد مرَّها، وبالقدر الذي كانت تتعمق به مدارك الأجداد بحثاً عن أسباب ذٰلك يدرك الأحفاد اليوم عوامل وأبعاد هوانهم، فلما عقد الأجداد العزم تحقق لهم النصر، وعندما يتمكّن الأحفاد من اقتفاء آثار أجدادهم فلن تستطيع قوة مهما تآمرت وبطشت من الوقوف أمامهم لنيل حقّهم كاملاً... وما أشبه الليلة بالبارحة»[1].

ونحن أيضاً نقول ونحن نرىٰ من يقوم بدور شاس بن قيس من بني جلدتنا: «ما أشبه الليلة بالبارحة».

---

(١) كتاب «قدسنا» (ص)، لمحمود العابدي.



الصِّرَاعُ بَينَ الحَقِّ وَالبَاطِلِ

إن ما يجري في فلسطين، وما يتعرض له الفلسطينيون من قبل المحتلين الصهاينة من ممارسة قتل النساء والأطفال، ومعاملة الفلسطينيين بوحشيّة وعنف، ومحاصرة المسجد الأقصىٰ ومنع المصلين من الصلاة فيه، وما تقوم به إسرائيل من حفريات في المسجد الأقصىٰ تمهيداً لإقامة الهيكل المزعوم، بعد هٰذا كله ماذا ينتظر المسلمون؟ فهل هناك مذلّة من قبل الصهاينة ومن يؤيدهم من الدول في الغرب وعلىٰ رأسها أمريكا أكبر من هٰذه المذلة؟ ألا ينظر المسلمون إلىٰ تاريخهم الذي أثبت أن آباءهم وأجدادهم لا يستكينون للباطل والظلم ولا يقبلون المذلة، بل كانوا ينظرون إلىٰ المذلة كالكفر، كما قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أَنَا إِنْ عِشْتُ لَسْتُ أُعْدَمُ قُوتاً ... وَإِذَا مِتُّ لَسْتُ أُعْدَمُ قَبْرَا
هِمَّتِيْ هِمَّةُ الْمُلُوكِ وَنَفْسِيْ ... نَفْسُ حُرٍّ تَرَىٰ الْمَذَلَّةَ كُفْرَا

فالذي يستسلم للباطل والظلم ويرضىٰ بالمذلة يرتكب في حق نفسه وأمته خزياً وعاراً، فأهل الإسلام هم الأعلون بدينهم وشريعتهم.

فمن تريدون منه أن يدافع عن بلادكم ويرفع الباطل والظلم عنكم؟ يقول سبحانه: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة:٢٥١]، قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «ولولا دفع الله العدو بجنود المسلمين لغلب الأعداء فقتلوا المؤمنين، وخربوا البلاد والمساجد»[(١)]، ويقول الأستاذ سعيد حوىٰ في تفسيره: «دلت الآيات علىٰ أنه لا يحمي حمىٰ الإسلام والمسلمين إلا جهاد وقتال، وأن الجهاد والقتال

(١) «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (٣/ ٢٦٠)، و«معالم التنزيل» للبغوي (١/ ٣٠٧).

يحتاجان إلىٰ إمرة وطاعة، وانضباط وإيمان وافتقار إلىٰ الله، كما دلت الآيات علىٰ أن الهجوم هو الطريق للنصر، وأن مجيء هـٰذه المجموعة ـ أي: الآيات الكريمة ـ في سياق الأمر بالدخول في الإسلام كله، وانتهاء المجموعة بقاعدة ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ [البقرة:٢٥١] يدل علىٰ أن الإسلام كله لا يقوم إلا بقتال، وأن طريق الإسلام والمسلمين دائماً هو الذي قصه الله علينا في قصة طالوت إمرة وجهاد، والإمرة التي لا تجاهد لا تحقق ما ينبغي منها، وإن الإمرة تختار علىٰ أساس الخصائص المناسبة للوضع القائم لا علىٰ أساس آخر، ولا تنطبق هـٰذه الآيات علىٰ واقعة كما تنطبق علىٰ مسلمي فلسطين، فقد أخرجوهم من ديارهم وأموالهم. وإن طريقهم لهـٰذا: إمرة وجهاد. أمير مؤمن وصفٌّ مؤمن وغير ذٰلك ليس طريقاً»[1].

وهناك من المجاهدين رجال علىٰ استعداد للقيام بالقيادة والدخول في معارك الجهاد، وقد رزقهم الله الإخلاص في القول والعمل، كما يظهر ذٰلك من واقع حياتهم والتزامهم بما يفرضه عليهم دينهم، مع رفضهم الدخول في مفاوضات الاعتراف بالاحتلال وبالدولة الإسرائيلية غير الشرعية، ويحذّرون مما تقوم به الصهيونية اليوم في بيت المقدس، فقد حذر الشيخ تيسير التميمي كبير قضاة فلسطين رئيس المجلس الأعلىٰ للقضاء الشرعي من تداعيات ما تقوم به بلدية بيت المقدس الصهيونية من حملات دعائية واسعة النطاق في وسائل الإعلام العبرية تدعو من خلالها اليهود إلىٰ زيارة الأماكن المحيطة بالمسجد الأقصىٰ المبارك بحضور حفلات موسيقية وعروض مسرحية، وفقرات لهو تعرض علىٰ واجهة السور الغربي للبلدة القديمة في القدس. والمواقع التي دعا اليهود لزيارتها هي في الأصل مواقع أثرية إسلامية وعربية أطلقوا عليها زوراً وبهتاناً مسميّات عبرية باطلة، ومنها متحف قلعة داود الذي هو في الأصل مسجد إسلامي، ومدينة داود وهي عين سلوان، والحائط الجنوبي للمسجد الأقصىٰ الذي تضمن آثاراً من الأثر الأموي. ونشرت جريدة (يديعوت أحرونوت)

---

(١) «الأساس في التفسير» لسعيد حوىٰ (١/ ٥٧٩).

ملحقاً خاصاً تحت اسم (مسار إلىٰ بيت المقدس) يتضمن إعلانات دعائية عن مشروع تهويد القدس لتكريس الرواية التلمودية حول هٰذه الأماكن لتزييف الحقائق التاريخية والأثرية، وكل ذٰلك يهدف إلىٰ تكثيف الوجود اليهودي في البلدة القديمة من القدس لإحداث خلل ديموغرافي لمصلحة اليهود تمهيداً لتهويد القدس وتحويلها إلىٰ مدينة يهودية، في الوقت الذي يمنع أبناء القدس وضواحيها من أبناء فلسطين من دخولها والصلاة في المسجد الأقصىٰ المبارك، وما جرىٰ للشيخ رائد صلاح غير خاف علىٰ الكثير، إذ استنكرت الحركة الإسلامية داخل فلسطين المحتلة عام ٤٨م التحريض الإسرائيلي السافر الذي تعرض له رئيسها الشيخ رائد صلاح الذي قاد حملة اسمها: (الأقصىٰ في خطر)، وكشف المخطط الصهيوني بقيام حفريات تحت الأقصىٰ، وفي باب المغاربة مؤكداً حق المسلمين في الصلاة في المسجد الأقصىٰ المبارك دون تدخل وقيود إسرائيلية. وقالت الحركة في بيان لها: إن التحريض الدموي والساخر الذي شنته المؤسسة الإسرائيلية بأذرعها الإعلامية والسياسية ضد الشيخ صلاح يعبّر عن العقلية المريضة التي تعاني منها المؤسسة الإسرائيلية برموزها السياسية والإعلامية، ويؤكد للمرة الألف ممارسة هٰذه المؤسسة للاضطهاد الديني ضد المسلمين في القدس الشريف والداخل الفلسطيني، وحمّل البيان المؤسسة الإسرائيلية مباشرة أي مس بالشيخ صلاح مؤكداً حق المسلمين في الصلاة في المسجد الأقصىٰ، وأكد أن حملة التحريض علىٰ الشيخ صلاح هدفها تخويف المسلمين وتعريض حياة المصلين للخطر، وحمّل البيان أيضاً المؤسسة الإسرائيلية المسؤولية الكاملة لكل ما قد يتعرض له المصلون وهم يؤمّون المسجد الأقصىٰ، ووجهت الحركة نداء إلىٰ الأمتين العربية والإسلامية للوقوف بحزم للدفاع عن المسجد الأقصىٰ المبارك مذكرة الجميع بأن هٰذه ليست قضية الفلسطينيين وحدهم، بل هي قضية كل مسلم وكل عربي.

هٰذه صرخات الفلسطينيين الذي يسكنون حول المسجد الأقصىٰ. فأين أنتم يا عرب ويا مسلمون؟ هناك صراع بين الحق والباطل، وبين الظالم

والمظلوم، فالمطلوب منكم الجهاد من أجل إحقاق الحق وإبطال الباطل، وإنصاف المظلوم من الظالم، والمظلومون إخوانكم المسلمون في فلسطين، والحق هو حق الإسلام، واعتدىٰ عليه الصهاينة الظالمون بمساعدة ومساندة الصليبيين: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَـٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾ [الصف].



التَّخَاذُلُ مُنْكَرٌ وَخِيَانَةٌ وَالجِهَادُ فَرْضٌ وَأَمَانَةٌ

إن الذين يتخاذلون عن القيام بواجبهم نحو إخوانهم المسلمين الذين يتعرضون للظلم والاضطهاد والتعذيب من أعداء الإسلام، ويمكّنوا الأعداء من التمادي في الطغيان ضد أهل الإسلام، إنما يرتكبون منكراً عظيماً يعاقبون عليه بأشد العقاب من الله سبحانه جزاء تخاذلهم وعدم الانتصار للحق: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنفال]، وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [النحل]، وقال جل في علاه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحُجُرات]. إن الإخلاص في الجهاد نتيجته النصر من الله والفتح القريب، وذٰلك خير ما يناله العباد الصالحون، وإذا كان الظالمون الطاغون قاموا بمحرقة ضد الفلسطينيين في غزّة فمن المؤسف أن من أبناء جلدتنا من يقف موقفاً متخاذلاً، ثمّ تجدهم يحمّلون أهل الحق الذين يدافعون عن أنفسهم مسؤولية التصعيد الحاصل في غزّة، وقد أحسن المتحدّث باسم حركة حماس عندما وصف تلك التصريحات الصادرة من أحد الوزراء العرب بأنها غبيّة وتهدف إلىٰ تبرئة الاحتلال وتوفير الغطاء للاستمرار في هٰذه المحرقة، وتعكس حجم فريق من أولٰئك النتنىٰ وتعاونهم مع الاحتلال ضد الشعب الفلسطيني.

إن المسلمين ليس أمامهم إلا رد العدوان عن طريق الجهاد. أمّا ما يقال عن إمكان إجراء مفاوضات مع إسرائيل لقيام دولتين إسرائيلية وفلسطينية فهٰذه أكاذيب صهيونية أمريكية. جاء في كتاب «حملة إعلامية أم مواجهة سياسية» عن العلاقة الأمريكية الإسرائيلية: «تلك العلاقة العضوية غائرة الجذور بين

الأمة الأمريكية التي اعتبرت نفسها واعتبرها قادتها وزعماؤها ومفكروها دائماً (إسرائيل هٰذا الزمان)، وشعب الله المختار الجديد، واعتبرت غزوتها الاستيطانية التي أُبيد في غمارها سكان القارة الأمريكية الأصليون لبناء أورشليم الجديدة علىٰ أرض العالم الجديد، وفكر قادتها قبل أن يتخذوا النسر شعاراً لهم أن يرسموا علىٰ علمهم القومي صورة موسىٰ (علىٰ رأس بني إسرائيل في الطريق إلىٰ الأرض الموعودة)، وبين الامتداد العضوي والتحقق الأقصىٰ لتلك الأمة؛ أي: إسرائيل ـ ويضيف الباحث ـ المشروع الاستيطاني لم يقتصر علىٰ المرحلة التمهيدية فلسطين بل شمل منذ البداية، وبتعاقد قانوني صريح بين الشعب المختار والإلٰه كل الأرض من النيل إلىٰ الفرات، فهل يمكن أن نتصور أن تقوم الأمة الأمريكية الأمة المتدينة الفتية التي تربت علىٰ تعاليم التوراة ورضعتها من الصغر علىٰ تلك المعصية المميتة. . . واقع الموقف الصهيوني فيما يخص المدينة المقدسة التي انتزعت من كل البشر»[1].

وجاء في كتاب «الخطر اليهودي علىٰ المسيحية والإسلام» تقرير هٰذه العلاقة الوطيدة بين أمريكا واليهود، مبيناً جذورها وبداياتها، واستيلاء اليهود علىٰ مجالات عدة في الولايات المتحدة، حيث قال مؤلفه: «اكتُشفت أمريكا في القرن الخامس عشر، وتدفق اليهود عليها بأعداد كبيرة في القرن التاسع عشر، ومنذ منتصف القرن التاسع عشر حتىٰ منتصف القرن العشرين؛ أي: خلال مائة سنة احتشد اليهود في الولايات المتحدة الأمريكية حتىٰ بلغ عددهم اليوم نحو ستة ملايين يهودي ـ وهٰذا التحديد من المؤلف في نهاية السبعينيات ـ نصفهم يعيشون في مدينة واحدة هي نيويورك. ـ ثم أضاف قائلاً ـ: صاروا في الولايات المتحدة منذ أواخر القرن التاسع عشر والنصف الأول من هٰذا القرن ملوك المال، استولوا بخططهم اليهودية الماكرة علىٰ مصادر الذهب والمعادن والبترول، استولوا علىٰ الشركات التجارية والصناعية والزراعية، واستولوا علىٰ البنوك والبورصة المالية، استولوا علىٰ أسواق

(١) «أمريكا والسعودية حملة إعلامية أم مواجهة سياسية» (ص١٠٩ ـ ١١١).

التموين ومخازن الحبوب وخاصة القمح، استولوا علىٰ مدينة السينما (هوليود)، وأداروا صناعة السينما حسب الخطة المرسومة في بروتوكولات حكماء صهيون، استولوا علىٰ المسارح والملاهي، استولوا علىٰ الصحافة ودور النشر والإذاعة والتلفزيون، وأخطر من هـٰذا كله استولوا علىٰ رؤساء الجمهورية والبيت الأبيض ودوائر الحكومة»[١].

ولا عجب إذن من تأييد الأمريكان لليهود فيما يفعلونه من استضعاف الأمة الإسلامية، واحتلال أراضيها ومقدساتها، ولـٰكن العجب كل العجب من أولـٰئك المتخاذلين المثبّطين للجهاد والمجاهدين الذين ينتسبون إلىٰ الإسلام وأهله، وتلهج ألسنتهم بالعروبة والقومية.



(١) «الخطر اليهودي علىٰ المسيحية والإسلام» (ص٢٠٠، ٢٠١).

لِنَكُنْ مَعَ الحَقِّ ضِدَّ الظُّلْمِ وَالفَسَادِ

نحن نأسف لما يجري في جهاز القضاء والفتوىٰ في مناطق السلطة الفلسطينية، إذ يكفي ما يعانيه الشعب الفلسطيني في قضيته مع إسرائيل، وموقف السلطة السياسي والتهافت علىٰ إرضاء أمريكا وإسرائيل ومطاردة المجاهدين من حركة حماس والجهاد، إذ أحاط الظلم بالشعب الفلسطيني من كل جانب من القريب والبعيد، ومن الداخل والخارج. فقد نشرت الصحف خبراً عن إضراب المحامين والقضاة الفلسطينيين احتجاجاً علىٰ التدهور في الجهاز القضائي، وأن هناك محاولات متزايدة من السلطة لسلب صلاحيات المحاكم المدنية وتحويلها إلىٰ محاكم أمن الدولة؛ خاصة بعد إنشاء نيابة خاصة بأمن الدولة مستقلة عن النيابة العامة، وحمّلت نقابة المحامين الفلسطينيين المسؤولية كلا من وزير العدل والنائب العام، وطالبت الرئيس عرفات بالتدخل لإلغاء محاكم أمن الدولة.

أما عن الفتاوىٰ الشرعية فقد نشرت جريدة «الشرق الأوسط» في عددها المؤرخ ٥/ ٢/ ٢٠٠٠م خبراً بعنوان: «تذمر في غزة من فتاوىٰ **(الشيخ بطاطا)**» لابتزاز المواطنين، وقالت الجريدة: تذمر المواطنون في قطاع غزة من الفتاوىٰ الشرعية التي يطلقها باستمرار أحد كبار مسؤولي وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية التي يشم منها رائحة الابتزاز للتجار وبعض المواطنين للحصول علىٰ مكاسب مالية، ويعرف هـٰذا المسؤول في الأوساط الرسمية للسلطة الفلسطينية باسم **(شيخ بطاطا)**، وبعض مسؤولي السلطة يتحدثون معه بهـٰذا اللقب نظراً؛ لأنه ليس فقيهاً في الشريعة الإسلامية وإنما هو عضو في حركة فتح؛ «تديَّن» فجأة بعد إقامة السلطة الفلسطينية للحصول علىٰ هـٰذا المنصب المخصص للحركة، ويعرف العديد من المسؤولين في أوساط السلطة الفلسطينية قدرات

هـٰذا المسؤول الفقهية المحدودة للغاية، لذٰلك فإنهم لا يلجؤون إليه في فتوىٰ شرعية، وقد أفتىٰ لبعض الناس فتاوىٰ تبين أنها غير صحيحة، وانتقلت حالة التذمر إلىٰ داخل مؤسسات وزارة الأوقاف عندما نصّب الشيخ بطاطا أحد أبنائه (عمره ٢٠ عاماً) نائباً له، فأصبح هـٰذا الشاب يجلس مكان والده، ويدير الاجتماعات مع المديرين العامين في الوزارة وذٰلك عندما يتغيب والده لأي سبب كان، وقال أحد موظفي وزارة الأوقاف للشرق الأوسط: هناك ما هو أكثر سخرية في الموضوع وذٰلك عندما يحتد النقاش بين هـٰذا المسؤول وبعض موظفي الوزارة في اجتماع ما يضع عمامته علىٰ طاولة الاجتماع ويصرخ فيهم: لا تظنوا أني شيخ أنا سافل!! وتتداول أوساط المواطنين في غزة نشاطات الشيخ بطاطا في فرض الطلاق علىٰ زوجين اختلفا واحتكم أحدهما إليه بناء علىٰ رغبة شخص ما، وغالباً ما يقضي أوقاته خارج الوزارة في سعي دائم لتطليق هـٰذا وتزويج تلك.

لا ندري ماذا يقول الآخرون عنا إذا كانت هـٰذه حالنا؟ وماذا يقولون عن المسلمين الذين حملوا رسالة الحق والعدل والأخلاق وأصبحوا في هـٰذه الحالة المتردية البعيدة عن كل المبادئ التي جاء بها الإسلام؟ إن أمثال هـٰؤلاء يشوِّهون تاريخ العرب والمسلمين، ويشوهون الإسلام بأفعالهم المنافية لمبادئ الحق والعدالة، فكيف سنحقق النصر علىٰ أعدائنا في أي ميدان من ميادين الكفاح علىٰ هـٰذه الأرض؟ إنه لا نصر إلا بالالتزام بالمثل والتغلب علىٰ نوازع الشر والباطل والفساد. ومن العار أن نرىٰ من العدالة ومحاربة الفساد والرشوة والانحراف في الغرب ما لا نرىٰ ذٰلك في بلاد المسلمين، فهناك يحاكم كل من يخطئ وينحرف مهما يكن المنصب الذي يتولاه، وفي بلاد العرب والمسلمين عكس ذٰلك تماماً، تهضم الحقوق، ويزاد المظلوم ظلماً، بل أحياناً يُرفع كل من ظلم وتجبر، ولا ينتظر الناس بعد ذٰلك إلا صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود. ألسنا الآن في أيام نحسات وفي عذاب الخزي وعذاب الهون؟ صحيح أن هناك ظلماً عند الآخرين مثل قانون الأدلة السرية وهم يطبقونه علىٰ العرب والمسلمين ولا يطبقونه علىٰ أبناء جنسهم، وقد سنوا هـٰذا القانون أيام

الحرب العالمية الثانية، وبمقتضىٰ هـٰذا القانون سجن وعذّب في أمريكا كثير من أبناء المسلمين والعرب بدون إثبات تهمة عليهم، لـٰكنهم الآن يناقشون إلغاء هـٰذا القانون لما رأوا فيه من ظلم وانتهاك للحقوق. أما الدول العربية التي تدعي العلمانية فتتمادىٰ في الظلم وفي انتهاك الحقوق، فتمنع المسلمات من الحجاب، وتغلق المساجد، وتسجن الشباب وتعذبهم بمجرد التهمة، وتحارب كل توجه إسلامي، وتفتح الأبواب للمؤسسات الصهيونية والماسونية، وفي بعض البلاد العربية من يسمون أنفسهم بالنخبة المثقفة يتطاولون علىٰ الدين والمقدسات، ويطعنون في الإسلام وأحكامه؛ بل ويستهزئون بالذات الإلـٰهية، ويعدُّون كل ذٰلك من قبيل حرية الفكر، مع أنهم يسكتون عن ظلم البشر والفساد في بلادهم. وعندما يعترضهم أحد علىٰ أقوالهم الإلحادية والكفرية ويقول لهم: إن ما تقولونه هـٰذا من الكفر البواح، يغضبون ويغضب معهم بعض المثقفين، ويقولون: أنتم تكفِّرون الناس ولا يجوز تكفير الناس. صحيح أنه لا يجوز تكفير المسلم، ولـٰكن إذا قال الشخص كفراً أو فعل كفراً فماذا نقول له وقد رضي لنفسه الكفر؟ ولماذا يغضب إذا وُصِف بما هو فيه؟ أما كان الأجدر به أن يرجع عما قاله من الكفر ويتوب إلىٰ الله بدلاً من أن يغضب ويتمادىٰ في كفره؟ ثم ألا يعرف هـٰؤلاء الذين يدافعون عن الكفر أنهم يكفرون بدفاعهم عن الكفر؟ فنحن المسلمون قد أمرنا الله أن نجاهد المشركين بأموالنا وأنفسنا وألسنتنا كما جاء في الحديث الشريف عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ**»[١]، فإذا لم نستطع جهادهم بأموالنا وأنفسنا فعلىٰ الأقل مجاهدتهم بألسنتنا، ولنكن جميعاً مع الحق ضد الظلم والإلحاد والفساد والاستبداد، ولننصر إخوتنا المظلومين بالوقوف معهم وتأييدهم، ولننصر الظالمين بردعهم عن ظلمهم كما أمرنا

(١) «مسند أحمد» (١٢٢٦٨) قال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح علىٰ شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين غير حماد بن سلمة فمن رجال مسلم، و«سنن أبي داود» (٢٥٠٦)، و«سنن النسائي» (٣٠٩٦)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٠٩٠).

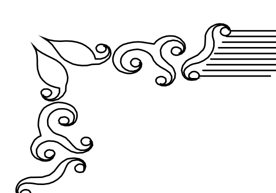
رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام، فعَنْ أَنَسٍ بن مالك رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِماً أَوْ مَظْلُوماً**»[1].

إن توسّد أمثال (**الشيخ بطاطا**) للأمور التي ليسوا بأهل لها من ضياع الأمانة كما صح في الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ فِي مَجْلِسٍ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ جاءَهُ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ: مَتَىٰ السَّاعَةُ؟ فَمَضَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُحَدِّثُ، فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: سَمِعَ مَا قَالَ فَكَرِهَ مَا قَالَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ لَمْ يَسْمَعْ، حَتَّىٰ إِذَا قَضَىٰ حَدِيثَهُ، قَالَ: **أَيْنَ أُرَاهُ السَّائِلُ عَنْ السَّاعَةِ؟** قَالَ: هَا أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ! قَالَ: **فَإِذَا ضُيِّعَتْ الْأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ**. قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا؟ قَالَ: **إِذَا وُسِّدَ الْأَمْرُ إِلَىٰ غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ**[2]. وقد أصبح ضياع الأمانة في هٰذا الزمان أمراً ملموساً وحالاً مشاهداً محسوساً في صغار الأمور وعظامها، ولأجل هٰذا مسخت هوية الأمة، وضاعت مقدساتها، واستبيحت حرماتها من قبل أعدائها أعداء الإسلام، أعاد الله سبحانه علىٰ الأمة عزها ومجدها وسؤددها عاجلاً غير آجل إنه سميع قريب.



(١) «صحيح البخاري» (٢٤٤٣)، و«صحيح مسلم» (٦٧٤٧) بلفظ: «**وَلْيَنْصُرِ الرَّجُلُ أَخَاهُ ظَالِماً أَوْ مَظْلُوماً، إِنْ كَانَ ظَالِماً فَلْيَنْهَهُ فَإِنَّهُ لَهُ نَصْرٌ، وَإِنْ كَانَ مَظْلُوماً فَلْيَنْصُرْهُ**»، و«مسند أحمد» (١١٩٦٧).

(٢) «صحيح البخاري» رقم (٥٩)، و«مسند أحمد» (٨٧١٤).



كُلُّ المسْلِمِينَ مَعَ فِلِسْطِيْنَ

عندما تخرج مظاهرات بعشرات الآلاف في إندونيسيا وتذهب أمام السفارة الأمريكية وتطالب بإنصاف الفلسطينيين ورفع الظلم عنهم، وتكوين اللجان لجمع التبرعات لإرسالها إلىٰ الشعب المسلم في فلسطين؛ ليس ذٰلك غريباً، فالمسلمون جميعاً في مشارق الأرض ومغاربها مع فلسطين، لذٰلك يجب علىٰ الفلسطينيين والعرب أولاً أن يوحدوا كلمتهم علىٰ هدي الكتاب والسُّنَّة ويقوموا بواجبهم نحو تحرير فلسطين من العدو الصهيوني، وأن يتركوا خلافاتهم وصراعاتهم جانباً. واليوم عرف المسلمون في كل مكان أن في فلسطين قيادة شجاعة مخلصة تتمثل في حركة حماس، والمسلمون في فلسطين جزء من الأمة الإسلامية، وبلادهم جزء من بلاد المسلمين، كما أخبر النبي ﷺ: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَىٰ مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَىٰ لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى**»[1]. وكما قال ﷺ: «**الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضاً**»[2]. والله سبحانه وتعالى قد طالب المظلومين أن ينتصروا لأنفسهم ولدينهم، قال سبحانه وتعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج].

---

(١) «صحيح مسلم» (٦٧٥١)، و«مسند أحمد» (١٨٤٠٤).

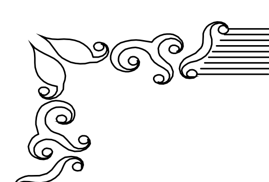
(٢) «صحيح البخاري» (٤٨١)، و«صحيح مسلم» (٦٧٥٠)، و«مسند أحمد» (١٩٦٤١).

إن حاجة الأمة المسلمة إلىٰ الترابط والتلاحم أحوج ما تكون في مثل هٰذا الزمن العصيب، زمن مارست فيه إسرائيل مُؤَيَّدة بالغرب المسيحي الظلم والعدوان من قتل وتهجير للمسلمين في فلسطين، وكما قال (كين ليفستون) عمدة لندن: «بأن إنشاء إسرائيل وتوسيع رقعتها قام علىٰ التطهير[١] العرقي ضد الشعب الفلسطيني، وعلىٰ الإرهاب، وعلىٰ إخراج آلاف الفلسطينيين من بلادهم بالقوة بعد أن عاشوا فيها قروناً طويلة».

فعلىٰ المسلمين مسؤولية الالتزام بإسلامهم، وأن يكونوا قدوة في السلوك والأخلاق، ويدعوا إلىٰ الله بالحكمة والموعظة الحسنة، ويوحدوا كلمتهم، حتىٰ يصدق عليها أنها أمة الجسد الواحد قولاً وفعلاً، حينها يتحرر الأقصىٰ وتعود فلسطين إلىٰ حاضرة الإسلام والمسلمين.



(١) يطلق أحياناً علىٰ عمليات القتل بغير حق بالتطهير، وهو خطأ شائع؛ لأن التطهير إنما يطلق علىٰ إزالة الخبث.



فَلْيَتَذَكَّرِ المُسْلِمُونَ الأَقْصَىٰ وَهُمْ يَتَّجِهُونَ إِلَىٰ المَسْجِدِ الحَرَامِ

إنّ الذين يتوهّمون حل قضية فلسطين عن طريق المفاوضات لا يعرفون حقيقة الصراع، ولا يعرفون ما يكنّه الصهاينة من كره للحق علىٰ كل الأمم عامة وعلىٰ المسلمين خاصة. فنتنياهو عندما يتحدث بصلف ووقاحة واستهانة بالمسلمين إنما ينطلق من خلفية حاقدة، إنهم يعتقدون أن كل الناس مسخّرون لهم وأموالهم حلال لهم، ففي تعاليم التوراة المحرّفة أن كل الأمم ما هم إلا عبيد لبني إسرائيل، والذين يتجاهلون التاريخ ويحسنون الظن باليهود، ويظنون أن غطرسة نتنياهو وإصراره علىٰ مواقفه العدوانية إنما هي صفات خاصة به، وأن الآخرين من اليهود في الأحزاب الأخرىٰ كحزب العمل يختلفون عنه، فإن هٰذه سذاجة ممن يعتقد ذٰلك. إنّ نظرة نتنياهو إلىٰ المسلمين إنّما تنطلق من ثقافته القديمة التي لخصها كما قال الشاعر اليهودي سماك عندما أجلىٰ الرسول ﷺ بني النضير بعد خيانتهم ونكثهم للعهد... قال سماك:

أَلَسْنَا وَرِثنَا الكِتابَ الحَكِيمَ	علىٰ عَهْدِ مُوسىٰ ولم نُصدِفِ
وأنتُم رِعَاءٌ لشَاءٍ عِجافٍ	بسَهلِ تهامةَ والأخْيَفِ
تَرَون الرِّعايةَ مَجداً لكُمْ	لَدَىٰ كلِّ دهْرٍ لكم مجحِفِ
فيا أيُّها الشَّاهِدونَ انتهُوا	عَن الظُّلمِ والمَنطقِ المُؤْنِفِ
لعلّ اللَّيالي وصَرفَ الزُّهُورِ	يُدِلْنَ مِنَ العَادِلِ المُنصِفِ
بِقتْلِ النَّضِيْرِ وَإِجْلَائِهَا	وَعَقْرِ النَّخِيْلِ ولمْ تُقْطَفِ[1]

فهٰذه هي طبيعتهم نقض العهود، والخيانة ديدنهم، وقد كان الجلاء

(١) «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (٧/٩)، «النكت والعيون» للماوردي (٥/٥٠١).

رحمة لهم، قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾﴾ [الحشر].

إن بعض الكتّاب يقولون: لا تستدعوا الماضي، واتركوا الماضي. ونحن نقول: وهل احتلال اليهود لبلاد المسلمين اليوم من الماضي؟ إن مستقبل المسلمين لن يكون مجيداً وزاهراً إلا إذا قاوموا العدوان بكل ما أوتوا من قوة، ورفضوا الاستسلام لمحاولات تمكين إسرائيل من الهيمنة علىٰ المنطقة. ونحن الآن نستبشر خيراً بالشباب المسلم الذي يقاوم الاحتلال الصهيوني ويقدم الشهداء، إن هٰؤلاء الشباب قد أثبتوا أنهم أمل المستقبل لهٰذه الأمة التي فجعت ببعض أبنائها الذين استسلموا للواقع، وانسلخوا من دينهم بركونهم لأعداء الدين، وفقدوا الإيمان بحق أمتهم في دحر العدوان، وأخذوا يفرّطون في المقدّسات، وأصبح كل همّهم أن يعيشوا في كنف الغرب، ويستمتعوا بملذات الدُّنيا في ظل الهوان، وكفروا بكل القيم، ولم يعد عمر بن الخطاب وخالد بن الوليد وصلاح الدين قدوتهم، وإنما انخرطوا في سلك عملاء الغرب والصهيونية، وعقدوا حلفاً غير مقدّس مع أعداء الإسلام والأمة، ولٰكن أين سيذهب هٰؤلاء من عقوبة الله؟ بعد أن نافقوا وأصبحوا في صف الأعداء، ونسوا ما يأمر به دينهم من الجهاد في سبيل الله، والتصدي للأعداء الذين أخرجوا المسلمين من ديارهم، واحتلوا أرضهم، واستولوا علىٰ بيت المقدس أولىٰ القبلتين ومسرىٰ خاتم النبيين، وأصبح المعروف عندهم منكراً والمنكر معروفاً: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾ [التوبة].

إن الأجدر بالمسلمين اليوم وهم يتجهون إلىٰ البيت الحرام أن يتذكروا المسجد الأقصىٰ مسرىٰ رسول الله ﷺ؛ خاصة وهم يتلون في كتاب الله

سبحانه: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾﴾ [الإسراء].

هٰكذا تثبت الآيات فسادهم كما هي عادة اليهود وطباعهم، تخلّوا عن كل الفضائل، وتحلّوا بكل الرذائل، مارسوا الفساد في الأرض والتعالي والتكبر والبغي والطغيان والاستطالة والعدوان كما يفعلون في فلسطين اليوم، وما نتنياهو إلا نسخة من أولٰئك المفسدين والمتكبرين في الأرض بغير الحق، والله سبحانه ينبّهنا إلىٰ أن القرآن هو الذي يهدي إلىٰ الطريق الأقوم، ويبشّرنا بالنصر والفوز في الدنيا والآخرة إذا نحن استمسكنا به. فلنصبر ولنصابر، ونقاوم كل محاولات الاستسلام والرضوخ للواقع، ونعدّ للعدوّ كل ما نستطيع من قوة، ونرفض وصاية أمريكا والغرب علينا؛ لأن أمريكا والغرب هم من يشجع الصهاينة علىٰ ظلم المسلمين، ويمدّهم بالسلاح الذي يمكّنهم من تهديد حياة المسلمين، فلولا أمريكا والغرب ما استطاعت إسرائيل أن تكون ذات كيان، ولولا أمريكا والغرب لما قامت إسرائيل ببناء المستوطنات في القدس.

إن الإسلام لا يرضىٰ لنا الإهانة، ولا يرضىٰ أن ندعو إلىٰ السّلام وعدونا يعدُّ عدَّته للحرب، ويغتصب أرضنا، فإسرائيل لم تجنح إلىٰ السِّلم أبداً، فلماذا ندعوا إلىٰ سلم الاستسلام والهوان؟ إن الله سبحانه يقول في

محكم كتابه الكريم: ﴿فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾﴾ [محمد]، ويقول سبحانه: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [آل عمران].

إن الصَّهاينة في حالة حرب مع المسلمين حتىٰ يجلوا من فلسطين، ويرجعوا من حيث أتوا، ومن المخزي أن يقول كاتب عربي: إن الإسرائيليين الحاليين غير مسؤولين لأن الذي احتل أرض فلسطين سنة ١٩٤٨م هم آباء هـٰؤلاء الموجودين الآن. ولا يخجل هـٰذا الكاتب أن ينشر قوله هـٰذا في صحيفة عربية، إنها الخيانة بجميع أنواعها يرتكبها بعض من بني جلدتنا، فكيف بعد ذٰلك نلوم الآخرين؟

والأدهىٰ من ذٰلك أن تطلب إسرائيل من السلطة الفلسطينية ضرب حركة حماس والجهاد بحجة القضاء علىٰ الإرهاب، والذي نؤمِّله من السلطة الفلسطينية عدم الانسياق إلىٰ هـٰذا الاتجاه، ولا ينبغي أن تكون تحت إمرة إسرائيل وأمريكا، ولا ينبغي للشعوب الإسلامية أن تقف مكتوفة الأيدي وهي ترىٰ إسرائيل تعمل علىٰ تهويد القدس، ويجب عليها أن تقوم بواجب الجهاد في سبيل الله لتحرير الأقصىٰ من براثن الصهاينة المعتدين. وعلىٰ كل مسلم حينما يتوجه للصلاة أو الحج نحو بيت الله الحرام أن يتذكر أولىٰ القبلتين التي لا عزّ للمسلمين إلا باستردادها.



لَا حَلَّ إِلَّا بِالجِهَادِ

ماذا يعني إعلان مرشح الحزب الجمهوري في الولايات المتحدة (توم تانكريدو) وهو يخطب أمام الجماهير ليحصل علىٰ التأييد فيقول هـٰذه العبارات: «إن الذي يستبعد خيار الردع النووي لا يستحق أن يكون رئيساً لأمريكا» ومن عباراته التي وصفها البعض بالهلوسة، وقلة العقل، والكراهية العميقة للبشر، إنه يدعو إلىٰ قصف مكة المكرمة والمدينة المنورة بالأسلحة النووية، وقد استنكرت الخارجية الأمريكية هـٰذه التصريحات فيرد عليها قائلاً: «إني أشعر بالسعادة عندما تبدأ خارجيتنا بالشكوىٰ من الكلام الذي أقوله». ألا يعني هـٰذا أن الصهيونية تتحكّم في هـٰذه القيادات، وأن العداء للإسلام والعرب والمسلمين كافة قد استشرىٰ في العالم بسبب نشاط أعداء الإسلام من الصهاينة والصليبيين والعلمانيين والملاحدة. ألا يجب أن نتوحد وندعم أولـٰئك الذين يغارون علىٰ الإسلام في فلسطين مثل حركة حماس الذين يعملون علىٰ تحرير فلسطين والمسجد الأقصىٰ؛ وذٰلك هو الجهاد في سبيل الله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ [البقرة] فالذين أحبوا الاستسلام للعدو، ووافقوا علىٰ كل ما يطلبه منهم وتطلبه الدول التي تقف إلىٰ جانب العدو وتؤيد إسرائيل في احتلالها لأرض فلسطين وطرد الشعب الفلسطيني من بلاده إنما يتَّبعون خطوات الشيطان الذي يتمثل الآن في هـٰذه الدول التي تقف مع العدو. إن الذين يقاتلون في سبيل الله سينصرهم الله عاجلاً أو آجلاً: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [آل عمران]. أما الذين يشكّكون في نصر الله فهم المنافقون كما حكىٰ الله سبحانه وصفهم في كتابه

العظيم: ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾﴾ [الأحزاب].

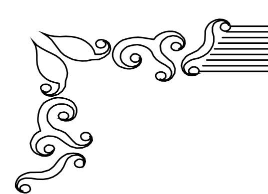
المؤمنون الذين يقاتلون الأعداء الذين ظلموهم قد أذن الله لهم في القتال، ووعدهم بالنصر سبحانه: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ﴾ [الحج]، وقال ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ [الشورىٰ].

إن الظلم والبغي والعدوان هو ما تقوم به إسرائيل اليوم ضد الفلسطينيين، فهي تقصفهم بالدبابات والطائرات وتقتل أطفالهم، ومن المؤسف أن من بني جلدتنا من يحاول أن يجعل الخطأ من إخواننا المجاهدين، وينتقدهم بدلاً من مشاركتهم في الجهاد والدفاع عنهم، وهٰؤلاء يظنون أن المفاوضات مع الأعداء هي الأولىٰ في حل القضية، وهٰذه كلها ظنون، وقد حذرنا الله في كتابه من اتباع الظنون، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [يونس]، ونقول لهٰؤلاء الذين يثقون في محاولات إسرائيل وأمريكا وأعداء الإسلام الآخرين الذين يتظاهرون بتأييدهم: ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٨]، ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾﴾ [النجم]، ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٣].

إن المخلصين الذين يرون أن قضية فلسطين لن تحل إلا بالجهاد ووحدة المسلمين هٰؤلاء هم الصادقون والله معهم. أما أولٰئك الذين يتهافتون علىٰ موائد الأعداء، ويدعون إلىٰ مفاوضتهم؛ فحقيقتهم أنهم يتنازلون عن الحقوق، وسينالون جزاءهم في الدنيا والآخرة، فجزاؤهم في الدنيا الذل والعار وفي

الآخرة العقاب من الله سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾﴾ [الأعراف]، وأما أهل الإيمان فهم موقنون بنصر الله وكرامته ومثوبته لهم في الدنيا والآخرة، قال سبحانه: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ ﴿٥١﴾﴾ [غافر].





القُدْسُ تُنَادِي

إن المسلسل البطولي الجهادي الذي يقوم به الشعب الفلسطيني اليوم هو البداية الصحيحة لتحرير فلسطين من يد الغاصبين، والذي ينبغي للمسلمين والعرب دعمهم بكل الإمكانيات لتستمر مقاومة الاحتلال، وقد رأينا الانتفاضة قد حققت عملاً كبيراً في مقاومة الاحتلال وإخافة الغاصبين، وخاصة تلك العمليات الاستشهادية التي قام بها أبطال من شباب الشعب الفلسطيني التي أوغلت في إرهاب العدو. ونحن إذ نحيي أولـٰئك الشباب في فلسطين الذين يخوضون الجهاد ويضحّون بأرواحهم فإننا نطالب كل العرب والمسلمين أن يشدّوا من أزرهم أمام هـٰذا العدو المتغطرس حتىٰ تكون فلسطين مقبرة للصهاينة لا وطناً لهم كما أرادوا، وقد وردت الأحاديث النبوية الشريفة تنبئ أن ذٰلك سيكون بإذن الله، فعن عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **«تَقْتَتِلُونَ أَنْتُمْ وَيَهُودُ، حَتَّىٰ يَقُولَ الْحَجَرُ: يَا مُسْلِمُ! هَـٰذَا يَهُودِيٌّ وَرَائِيْ تَعَالَ فَاقْتُلْهُ»**[(١)]، وهـٰذا واقع لا محالة، وحق لن يتخلّف حدوثه وإن طال الزمن.

لقد جاء أولـٰئك اليهود من مختلف دول العالم بمساعدة الدول الكبرىٰ ليغصبوا أرضاً ليست أرضهم، ويطردوا شعباً من أرضه، لقد مضت أكثر من خمسين سنة علىٰ اغتصاب أرض فلسطين ولا زالت القضية حية لم تمت ولن تموت طالما أن هناك عقيدة رفض اليأس والاستسلام: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [يوسف:٨٧].

إن دول العالم كلها لن تستطيع أن تمنع الشعب الفلسطيني أن يحرر

(١) «صحيح البخاري» (٢٩٢٥)، و«صحيح مسلم» (٧٥٢١) واللفظ له، و«مسند أحمد» (١٠٨٦٩).

أرضه، ولا بد أن يأتي اليوم الذي تعجز فيه الولايات المتحدة أن تمدّ إسرائيل بالحياة، فإسرائيل جسم غريب في المنطقة لا يعيش إلا بأنبوب ممتد من أمريكا يمده بالأوكسجين، وسيقطع هٰذا الأنبوب أو يتلف عاجلاً أو آجلاً؛ لأنه مؤقت بطبيعته، ولا بقاء إلا للأصل الذي تغذيه تيارات أصيلة قوية متدفقة من نهر لا ينضب، هو نهر الحق والإيمان، ونقول للشعب الفلسطيني: إن قلوب ملايين المسلمين معك، عزتك عزتهم، ونصرك نصرهم، ولن تستطيع أي قوة في الأرض أن تفصلك عنهم مهما أقام الظالمون من الحواجز والحدود والترسانات، فلا بد أن تتدفق سيول المجاهدين من كل حدب وصوب، ولا بد أن تتحرك جحافل الحق لتحطم تلك الحواجز فيكون القضاء المبرم علىٰ عصابات الإجرام: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ﴾ [الروم]، وعندئذ سنقول شاهت الوجوه: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال:١٧].

لقد أثبت الشعب الفلسطيني أنه لا ينام علىٰ الضيم فبالرغم من كل حملات التضليل المركزة من الأجهزة الصهيونية، والتأييد المستمر من القوىٰ العظمىٰ وعلىٰ رأسها الولايات المتحدة للكيان الصهيوني، وعلىٰ الرغم من كل المحاولات لطمس شخصية الشعب الفلسطيني وإذابتها فلم تفلح تلك المحاولات في جعل الشعب الفلسطيني يستسلم للواقع، وعلىٰ الرغم من كل القهر والقمع والاضطهاد فإن روح الجهاد لم تخمد وأنّىٰ لها أن تخمد، وقد حملت الراية سواعد فتيان ممتلئة بروح الإيمان، ونفوس قد اختارت الشهادة طريقاً إلىٰ الجنة ولم تعد الحياة عندها ذات قيمة في ظل القهر والظلم والجبروت، ولا يخفىٰ أن السر في استمرار هٰذه الانتفاضة أنها قضية لله وما كان لله دام واتصل، وما كان لغير الله انقطع وانفصل.

لقد آن الأوان أن تتوحد الكلمة من أجل أن تؤتي الانتفاضة ثمارها ولن يكون ذٰلك إلا بالتضحية وتوعية الشعوب الإسلامية لتؤدي دورها في تحرير فلسطين والمسجد الأقصىٰ، فإن المسلمين قاطبة يشتاقون إلىٰ اليوم الذي يعلن فيه الاستعداد العام للجهاد لتحرير المقدسات، فقد آن الأوان أن نميز بين

الحق الناصع والباطل الخادع، ولا طريق لتحرير فلسطين إلا طريق الجهاد المقدس، تحشد له كل الإمكانيات في البلاد العربية والإسلامية، ويقف المسلمون جميعهم وقفة واحدة خلف المجاهدين يؤازرونهم في جهادهم، لقد عرف الشعب الفلسطيني طريقه، وأن شعار« الله أكبر» هو الكفيل بأن يلهب مشاعر الجماهير لتخوض الجهاد من غير وجل، عندما يذكر المسلم أو يسمع اسم القدس يتذكر ثلاث شخصيات: عمر بن الخطاب ﵁ الذي قال: «إِنَّكُمْ كُنْتُمْ أَذَلَّ النَّاسِ وَأَحْقَرَ النَّاسِ وَأَقَلَّ النَّاسِ، فَأَعَزَّكُمُ الله بِالإِسْلَامِ فَمَهْمَا تَطْلُبُوا العِزَّ بِغَيْرِهِ يُذِلُّكُمُ الله»[1]. وقد فتح القدس وأمّن سكان بيت المقدس بمختلف أديانهم ورفع راية الإسلام. والشخصية الثانية صلاح الدين الأيوبي ﵀ الذي حرر القدس من أيدي الصليبيين بعد أن احتلوها تسعين عاماً، والسلطان عبد الحميد ﵀ الذي جاء إليه هرتزل مؤسس الصهيونية وعرض عليه الملايين من العملة الذهبية الصعبة ليتخلىٰ عن فلسطين والقدس، فقال قولته المشهورة: «ليحتفظ اليهود بملايينهم من الذهب، إن البلاد ليست ملكي ولٰكنها ملك المسلمين جميعاً المنتشرين في العالم والذين رووا تربتها بدمائهم، وإن عمل المبضع في بدني لأهون علي من أن أرىٰ فلسطين قد بترت من إمبراطوريتي»[2]. وبعد ذٰلك مباشرة تحرك المتآمرون في الشرق والغرب لخلع السلطان عبد الحميد ﵀، وللإجهاز علىٰ الدولة العثمانية، فكان هناك الماسونيون في جمعية الاتحاد والترقي، وكان هناك بعض العرب الذين وقفوا إلىٰ جانب البريطانيين بعد ثلاثة عشر يوماً فقط من حصول اليهود علىٰ وعد بلفور، ودارت المعركة حول مدينة القدس، وسقط فيها خمسة وعشرون ألف قتيل وجريح من جنود السلطان عبد الحميد، وسقطت فلسطين والقدس بيد البريطانيين بمساعدة بعض العرب، وتوالت النكبات والمؤامرات، وأخيراً استولت إسرائيل علىٰ فلسطين والقدس كاملة.

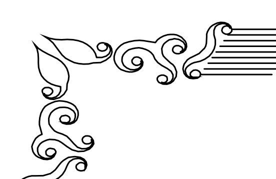
---

(١) «تاريخ دمشق» (٤٤/ ٥)، و«البداية والنهاية» (٧/ ٧٠)، و«محض الصواب في فضائل ابن الخطاب» (٢/ ٥٩٠).

(٢) «يوميات هرتزل»، (ص٢٢)، و«مكايد يهودية عبر التاريخ» (ص٢٧٥).

والآن آن للمسلمين أن يتحركوا علىٰ خطا صلاح الدين، ويعيدوا القدس وفلسطين إلىٰ العرب والمسلمين، فالقدس تناديكم يا مسلمون! ولا حل للقضيّة إلا بالجهاد: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٤١﴾ [التوبة].





لَبَّيْكِ فِلِسْطِيْنُ

عندما عمّت الانتفاضة الشعبية الأراضي المحتلة بفلسطين كانت بذٰلك معلنة رفض الاحتلال، وعدم الخضوع للأمر الواقع الذي تريد القوىٰ العالمية تثبيته في فلسطين، وتمكين اليهود من استيطان فلسطين جميعها.

لقد أظهرت الانتفاضة تصميم الشعب الفلسطيني علىٰ مواصلة الكفاح حتىٰ يتحقق التحرير، ومن الملاحظ أن هٰذه الانتفاضة ترفع شعار الجهاد مما يدل أن هناك تصميماً علىٰ رفض كل الحلول الجزئية ورفض المساومات التي تمكن العدو من البقاء والهيمنة، إذ من شأن رفع هٰذا الشعار أن يجعل الاعتراف بإسرائيل أمراً غير وارد إطلاقاً، ورفض قيامها علىٰ أرض فلسطين، وأن تعود فلسطين عربية إسلامية، وهٰذا وإن كان هدفاً يظهر الآن بعيد المنال إلا أن الصبر والتصميم وشحن النفوس بالروح الجهادية كفيل بتحقيق الهدف؛ لأن هٰذه الأمة قد أثبتت طوال تاريخها أنها لا تظل راكعة طول الأبد، وأن جذوة الإسلام تسري في جسمها حتىٰ تقف علىٰ قدميها عملاقة قوية بعد أن تقضي علىٰ كل أسباب الضعف والاستكانة.

سيعيد التاريخ نفسه! وستنطلق أمة الجهاد زاحفة بجحافلها المؤمنة الذين يحملون أرواحهم علىٰ أكفهم تجاه بيت المقدس لتخليصه من براثن الصهيونية.

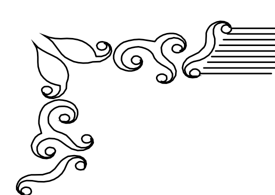
إذا كانت إسرائيل اليوم تملك قوة من طائرات وصواريخ ودبابات فإن الأمة الإسلامية لن تعدم هٰذه القوة، وإذا كان لدىٰ إسرائيل دعم ومساعدة من أمريكا، فإن أمريكا يعتريها ما يعتري الدول من تقلبات، وقد رأيناها تتراجع في فيتنام عندما رأت أن شبابها يتساقطون صرعىٰ... وأن الخسارة أكبر من الربح، ولا بد أن يضيق الشعب الأمريكي ذرعاً بما تكلفه إسرائيل من خسائر،

ولا ننسىٰ ما قاله روزفلت عن اليهود في يوم من الأيام فاتهمهم باستغلال الشعب الأمريكي، ودعا إلىٰ التخلص منهم، كما أنه ليس من المعقول أن يغرس جسم غريب ويظل إلىٰ ما لا نهاية.

المهم أن تتكاتف الشعوب الإسلامية مع الشعب الفلسطيني، وتصمم علىٰ تحرير فلسطين، ولا يعقل أن هٰذه الملايين من الشعوب إذا انطلقت بكل قوتها وإمكانياتها أن تقف في وجهها قوة دخيلة مهما تكن هٰذه القوة. أما إذا لم تتكاتف هٰذه الشعوب وتفرقت بهم السبل فإن أقل قوة ستتحكم فيهم، وإذا أتيح لإسرائيل أن تبقىٰ دولة في المنطقة لها علاقات مع دولها فإن الخطر هو أن تتحكم هٰذه الدولة في شعوب المنطقة، وإفساح المجال لليهود والاستعمار أن يتغلغلوا في حياتها مما يفقدها إمكانية النهوض والتقدم، وتبقىٰ تحت النفوذ الأجنبي، ويستطيع الجالس علىٰ كرسي الحكم في تل أبيب أن يوجه الأمور بالهاتف في كل أنحاء المنطقة.

إن الذين يرون أن فلسطين يمكن أن ترجع للمسلمين عن طريق آخر غير طريق الجهاد الإسلامي واهمون، كما أن الذين يعتقدون أن بإمكان القوىٰ التي يسمونها تقدمية أن توحد المسلمين واليهود في ظل مجتمع اشتراكي واهمون أيضاً، لذٰلك فإن الطريق الوحيد هو بعث روح الجهاد الإسلامي، وأن يتخلىٰ القادة عن الشعارات التي يرفعونها اليوم، ويعلنوها قضية إسلامية يتبناها مليار مسلم، وهٰذه هي الطريقة الوحيدة لتحرير فلسطين، وأن هٰذا العدد الضخم لا بد وأن يلبي نداء الجهاد لتحرير المسجد الأقصىٰ وفلسطين وعند ذٰلك علىٰ كل مسلم أن يقول: لبيك يا فلسطين.





الإِسْلَامُ رُوحُ الانْتِفَاضَةِ

لقد ضحّىٰ الشعب الفلسطيني بالكثير من أجل قضيته، وعانىٰ في سبيل وطنه معاناة لم يعانها شعب في التاريخ، تآمرت عليه قوىٰ البغي والطغيان؛ ولا زالت تتآمر عليه ليبقىٰ مشرّداً من أرضه، ويحتلها الغرباء من شُذّاذ الآفاق بحجة خرافية من أساطير التاريخ، ولٰكن هٰذا الشعب الصابر المرابط في ثغر من ثغور الإسلام علىٰ مدار التاريخ الإسلامي وهو يتعرض للهجوم ليمحىٰ من الوجود، لقد استعصم بالله، ومن استعصم بالله كفاه الله.

إنه يقاتل اليوم بالحجارة وأدخل الرعب في قلوب أعدائه، وكل ما يخشاه الأعداء أن تمتد المقاومة وتشتعل نار الجهاد في بلاد الإسلام من أقصاها إلىٰ أقصاها.

إن الأمل كل الأمل في الصحوة الإسلامية التي أنتجت هٰذه الانتفاضة المباركة في أرض فلسطين أرض الإسراء والمعراج التي شهدت معارك الإسلام علىٰ مدار التاريخ منذ عهد عمر بن الخطاب وصلاح الدين الأيوبي.

إن روح الجهاد الإسلامي كفيلة أن تجمع المسلمين تحت راية وشعار تخليص المسجد الأقصىٰ والأرض المباركة من أيدي الصهاينة الغاصبين، عند ذٰلك ستهزم أحزاب الكفر لا محالة: ﴿سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾﴾ [القمر].

إن الله قد جعل الجهاد سنام الإسلام، وأنه باق إلىٰ قيام الساعة، وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ وَلَمْ يُحَدِّثْ بِهِ نَفْسَهُ، مَاتَ عَلَىٰ شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ**»[1] أجارنا الله من النفاق.

ما طمع الأعداء في المسلمين واحتلت بلدانهم إلا عندما تخلوا عن

---

(١) «صحيح مسلم» (٥٠٤٠)، و«مسند أحمد» (٨٨٥٢).

واجب الجهاد، وسيعيشون في هٰذه الدنيا أذلّاء محتقرين طالما فقدوا روح الجهاد، فيا للعار علىٰ العرب والمسلمين الذين يتركون النساء والأطفال يقاتلون بالحجارة وهم يتفرجون من بعيد: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾ [النساء].

إن النساء والأطفال في فلسطين قد قلبوا الموازين وحققوا المعجزات فلم يقولوا: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾، وإنما صمدوا ووقفوا وقاتلوا بما تقع عليه أيديهم من حجارة وغيرها.

إن من معجزات هٰذا الشعب المسلم المرابط أن يخرج من بين صفوفه رجل مقعد لا يستطيع المشي علىٰ رجليه، بل يُدفع علىٰ عربة من الخلف، يجابه قوة غاشمة ودولة بجيشها وأسلحتها، فيلقىٰ عليه القبض ويرمىٰ به في السجن، ويعذب فلا يلين ولا يستكين، إنه قائد حركة حماس الشيخ المجاهد **(أحمد ياسين)** ـ رحمه الله وتقبله في الشهداء ـ، ولو كان هٰذا الرجل غير مسلم أو في بلاد غير بلاد العرب لرأيت اسمه يشغل أجهزة الإعلام، وصورته تتصدر الصحف، ولٰكن حاولوا التعتيم عليه وعلىٰ جهاده وجهاد جنوده. ونقول: إن الذين ينكرون وجود الشمس في رابعة النهار إنما يجلبون لأنفسهم السخرية والاحتقار، والشنار والعار.

لقد قامت انتفاضة الشعب الفلسطيني بعد أن وصلت القضية إلىٰ حالة جمود تام، وانشغل العالم بقضايا أخرىٰ، وانشغل المسلمون ببعضهم، وانشغلت التيارات في الوطن العربي بقضايا بعيدة عن الواقع، وعن القضية المركزية حتىٰ مكّنت الصليبية الحاقدة والشيوعية الماكرة العدو الصهيوني من اغتصاب الأرض مستغلين الضعف والتفكك العربي والغياب الإسلامي، وقد نجحت محاولات إبعاد الإسلام عن القضية، وحلت محله الأفكار العلمانية واليسارية التي التقت مع أهداف الصليبية والصهيونية والشيوعية، فساهموا في إلحاق الضرر بالقضية، ومكنوا الأعداء من بلوغ أهدافهم.

لقد مضىٰ زمن الغفلة الذي احتل فيه اليهود فلسطين عندما غفل العرب

عن مصدر قوّتهم وعزّتهم: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝١٠﴾ [الأنبياء] إنه لن تستطيع قوة في الأرض أن تنزع روح المقاومة التي سرت في الشعب الفلسطيني، ولن تستطيع أمريكا أن تفرض رأيها إذا رأت شعوباً متراصّة متماسكة مصممة علىٰ ردّ العدوان وإحقاق الحق، فالأمر لله وحده: ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف:٢١]، ﴿وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٧ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٨﴾ [الأنفال].



شَبَابُ الصَّحْوَةِ أَمَلُ التَّحْرِيرِ

لقد انتشرت المقاومة الفلسطينية في القدس وقطاع غزة انتشار النار في الهشيم، وانتفض العدو الإسرائيلي ذعراً وجزعاً من هٰذه المقاومة الجديدة عليه، التي ترفع لواء الإسلام، يحمله شباب هم جيل المعاناة والاحتلال، رأوا في رفع هٰذا اللواء منقذاً ومخلصاً لوطنهم من وصمة الاحتلال اليهودي:

وَإِنَّ لِـوَاءً ظَـلَّ فَـوْقَـكَ خَـافِـقـاً قُلُوبُ العِدَىٰ مِنْ تَحْتِهِ مِنْهُ تَخْفِقُ

لقد عرف الشباب طريقهم إلىٰ النصر بعد أن تهاوت كل الشعارات تحت أقدام المساومات، وأن شعار العقيدة وحده لا يقبل المساومات، وهٰذا ما يعرفه الإسرائيليون أنفسهم، عرفوه في خيبر عندما أرادوا أن يخادعوا ويطعنوا من الخلف فطردوا شر طردة، ولم يتمكنوا من تفرقة الصفوف، وإثارة النزاعات والنعرات الجاهلية، بعد أن توحد العرب تحت لواء الإسلام.

إن المسجد الأقصىٰ يناديكم يا مسلمون أن تتوجهوا بأسلحتكم لتخليصه، وإن الأرامل والأيتام والمستضعفين يناشدونكم الله أن تسمعوهم أصوات المدافع والمتفجرات والدبابات والصواريخ التي كفاها عرضاً في المناورات العسكرية الهزيلة المهينة في بلاد المسلمين، يناشدونكم الله أن يسمعوا أصواتها علىٰ أرض فلسطين لتحريرها وتخليص أهلها المستضعفين الذين تآمرت عليهم كل الدول والنحل.

إن الأقصىٰ إلىٰ اليوم يرفل في قيود الذل والهوان ينتظر من يفكها عنه كما فكها صلاح الدين، إنه لهوان عظيم هٰذا الذي نعيشه اليوم، أكثر من مليار مسلم لا يستطيعون أن يحرروا المسجد الأقصىٰ. لٰكننا إذا سلكنا الطريق التي سلكها صلاح الدين سنصل إلىٰ الهدف المنشود بإذن الله سبحانه. يقول ابن الوردي:

لَا تَـقُـلْ قَـدْ ذَهَـبَـتْ أَرْبَـابُـهُ كُلُّ مَنْ سَارَ عَلَىٰ الدَّرْبِ وَصَلَ

﴿فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ﴾

تصرّ أمريكا وأوروبا علىٰ الوقوف مع الصهاينة ضد الفلسطينيين مع أن الحق في القضية واضح وضوح الشمس، الفلسطينيون كانوا يعيشون في بلادهم مثل غيرهم من الشعوب حتىٰ حصل ما حصل لليهود من النازيين في البلاد التي كانوا يعيشون فيها في أوروبا، فقامت دول الغرب وجاءت بهم إلىٰ فلسطين ليقيموا لهم دولة في بلاد غيرهم من منطلقات غير صحيحة ومخالفة حتىٰ لقوانينهم الدولية التي يتشدقون بها. فدعاوىٰ الغرب عن حقوق الإنسان والعدالة دعاوىٰ مزيّفة؛ لذا لا يُنتظر من الغرب الوقوف مع المظلوم إذا كان لا ينتمي لأوروبا وأمريكا، إلا إذا كان للأمريكان والغرب مصلحة.

ولقد قام البريطانيون واليهود معاً بالضرب والقتل في المسلمين العزّل مع بداية الاحتلال الصهيوني، وقتلوا إمام المسجد الأقصىٰ الشيخ إبراهيم الأنصاري، ورد عليهم المجاهدون وتمكنوا من طردهم من المدينة المقدسة، ولٰكن المجاهدين اضطروا إلىٰ إخلاء المدينة بعد أن هددتهم بريطانيا بقذف المدينة بالمدفعية والطائرات وهدم المقدسات، واستمرت الثورة الفلسطينية حتىٰ قسّمت فلسطين بعد ذٰلك وأصبحت القدس القديمة في الجانب الأردني. وبعد حرب حزيران سنة ١٩٦٧م بين الدول العربية وإسرائيل والتي هُزم فيها العرب بسبب مساعدة الغرب لإسرائيل، جاءت بعدها الاتفاقيات وقرارات مجلس الأمن والجمعية العمومية والتي تصب كلها في مصلحة إسرائيل وبقيت هي المسيطرة.

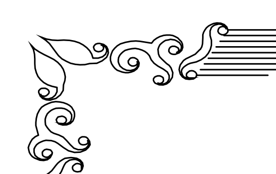
إن الحل لاستعادة مقدساتنا هو الاجتماع علىٰ الحق، ورفع راية الجهاد، ونبذ الفرقة والاختلاف، ليرتدع الظالم عن ظلمه، ويعود الحق إلىٰ نصابه. ولنتذكر نصيحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ عندما وجّه للمسلمين

والعرب كلمة عن فلسطين قال فيها: «إن المسلم ليألم كثيراً، ويأسف جدّاً من تدهور القضية الفلسطينية من وضع سيئ إلىٰ وضع أسوأ منه، وتزداد تعقيداً مع الأيام، حتىٰ وصلت إلىٰ ما وصلت إليه في الآونة الأخيرة، بسبب اختلاف الدول المجاورة، وعدم صمودها صفّاً واحداً ضد عدوها، وعدم التزامها بحكم الإسلام الذي علق الله عليه النصر، ووعد أهله الاستخلاف والتمكين في الأرض، وذٰلك ينذر بالخطر العظيم، والعاقبة الوخيمة، إذا لم تسارع الدول المجاورة إلىٰ توحيد صفوفها من جديد، والتزام حكم الإسلام تجاه هٰذه القضية، التي تهمّهم وتهمّ العالم الإسلامي كله، ومما تجدر الإشارة إليه في هٰذا الصدد أن القضية الفلسطينية قضية إسلامية أولاً وأخيراً، ولٰكن أعداء الإسلام بذلوا جهوداً جبارة لإبعادها عن الخط الإسلامي، وإفهام المسلمين من غير العرب، أنها قضية عربية، لا شأن لغير العرب بها، ويبدو أنهم نجحوا إلىٰ حد ما في ذٰلك، ولذا فإنني أرىٰ أنه لا يمكن الوصول إلىٰ حل لتلك القضية، إلا باعتبار القضية إسلامية، وبالتكاتف بين المسلمين لإنقاذها، وجهاد اليهود جهاداً إسلامياً، حتىٰ تعود الأرض إلىٰ أهلها، وحتىٰ يعود شذّاذ اليهود إلىٰ بلادهم التي جاءوا منها، ويبقىٰ اليهود الأصليون في بلادهم، تحت حكم الإسلام لا حكم الشيوعية ولا العلمانية، وبذٰلك ينتصر الحق ويخذل الباطل، ويعود أهل الأرض إلىٰ أرضهم علىٰ حكم الإسلام، لا علىٰ حكم غيره، والله الموفق»[1].

فالحل هو اتحاد كلمة المسلمين، وبعث روح الجهاد الإسلامي، فقد أثبتت السنوات أن المفاوضات والمؤتمرات لا تعيد حقاً ولا ترفع ظلماً، وإنما الحل في كبح جماح المغتصب وردعه، فهو المعتدي والباغي، قال عز من قائل: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٩٤].

---

(١) «مجموع فتاوىٰ ابن باز» (١/ ٢٧٧).



العَودَةُ إِلَىٰ فِلِسْطِيْنَ

عندما يقرر مجلس الأمن إصدار إدانة لإسرائيل بسبب ارتكاب قواتها مجازر وحشية ضد الشعب الفلسطيني، تقوم أمريكا باستخدام الفيتو لإسقاط هـٰذا المشروع الذي يدين المجازر الوحشية التي ترتكبها إسرائيل في حق الفلسطينيين. وتنطلق أمريكا في ذٰلك من منطلقها الصهيوني الذي يتحكم في قراراتها وتصرفاتها الظالمة ضد المظلومين والمنكوبين، فلا عدالة ولا منطق ولا عقل في هـٰذه التصرفات، وكأن الفيتو قد وضع للدول الكبرىٰ لتزيد من جبروتها وعدوانها وإلحاق الأذىٰ بالآخرين الذين لا يملكون القوة ولا التأييد من كبار الطغاة والمستبدين فيكونون ضحايا لرصاص المغتصبين، فيقتل النساء والأطفال والمسنون، وتهدم عليهم بيوتهم وتحرق خيامهم. أليس في الإمكان أن يتضامن المسلمون والعرب ويكونوا كتلة واحدة في وجه الظلم والطغيان ويعتصموا بحبل الله جميعاً كما قال لهم ربهم ﷻ: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ [آل عمران:١٠٣]؟

إن أمريكا تعلن علىٰ رؤوس الأشهاد: أنها تقف إلىٰ جانب إسرائيل فيما تقوم به من قتل للأطفال والنساء والشيوخ في فلسطين، وتعد ذٰلك دفاعاً عن النفس من جانب إسرائيل. بل إن البيت الأبيض في الولايات المتحدة هو الذي يوجه إسرائيل في تصرفاتها في فلسطين، وجون بولتن الذي يمثل أمريكا في الأمم المتحدة سابقاً يتلقىٰ التعليمات من بوش ليبرر عدوانية الكيان الصهيوني ضد الشعب الفلسطيني، وقد أعرب رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق يهود أولمرت عن ثقته قبل المحادثات مع الرئيس بوش بأن دعم الولايات المتحدة لإسرائيل سيبقىٰ قوياً في وجود الديمقراطية في قيادة الكونجرس. وقال أولمرت: «إنه سيسعىٰ للحصول علىٰ وجهة نظر الرئيس الأمريكي بوش

في السياسة الأمريكية في العامين المتبقيين علىٰ ولايته في ضوء الانتخابات الأمريكية؛ ولٰكنه لا يعتقد أن دعم واشنطن لإسرائيل سيتأثر. وقال: إن دعم إسرائيل تقليد موجود لدىٰ الحزبين الأمريكيين، ولا أعتقد أن هناك شيئاً يتغير».

يقول باحث عربي كما جاء في كتاب «أمريكا والسعودية»: «إن الجذور الحقيقية للصهيونية تنبع من الأصول المسيحية الأمريكية، وإن الولايات المتحدة لا تعتبر إسرائيل مجرد حليف استراتيجي، ولٰكنها تنظر إليها باعتبارها امتداداً حقيقياً لا مجازياً للأمة الأمريكية».

فما الحل؟ وماذا ينبغي للمسلمين القيام به؟ يجيبنا عن ذٰلك الشيخ محمد الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في إحدىٰ خطبه ما ملخصه: «أظن أن المسلمين والعرب يدخلون بيت المقدس مرة أخرىٰ يوم يدرسون أخلاق عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، يدخل المسلمون والعرب فلسطين وبيت المقدس يوم يرون رجلاً كصلاح الدين الأيوبي. إن المسلمين والعرب لكي ينتصروا ويعودوا إلىٰ فلسطين يجب أن يعودوا إلىٰ دينهم، وليعلم الجيل الحالي والجيل الذي يليه أن راية الإسلام وحدها هي التي تجمع الشمل، وأن خرافة البعث العربي وخرافة القومية العربية وخرافة القوميات الضيقة وخرافة الانطلاق وراء كل سراب خادع وأمل كاذب مع التفريط في دين الله، كل هٰذا لا ينتهي بأصحابه إلا في الضياع والدمار».



﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾

أعلن أن إسرائيل تقوم بإجراء تجارب علىٰ الصواريخ وذٰلك في إطار تخويفها للعرب والمسلمين وتهديدهم، وتقوم الولايات المتحدة بمساعدتها في تمويل هـٰذه الصواريخ وصناعتها، وتعلن ذٰلك زيادة في إخافة العرب والمسلمين وتهديدهم، هـٰذا من الناحية العسكرية، أما من الناحية السياسية فقد استعملت أميركا الفيتو لإحباط قرار يدين إسرائيل بسبب المستوطنات التي تقيمها في القدس، ومع ذٰلك يناقض العرب أنفسهم ويعلنون علىٰ رؤوس الأشهاد أن علاقتهم بأمريكا لا تشوبها شائبة!

هـٰذه الصواريخ التي تشترك في صناعتها وتمويلها وإعدادها أمريكا أليست موجهة إلىٰ العرب والمسلمين؟ إذن كيف تكون أمريكا صديقة للعرب والمسلمين وهي تشجع إسرائيل علىٰ التمادي في العدوان وتهديد العرب والمسلمين وتهويد القدس؟ أليس هـٰذا الموقف استخفافاً بالعرب والمسلمين؟ لقد وثقت أمريكا من وفاء حكّام العرب حتىٰ لو أشبعتهم ركلاً وضرباً، فقد ذهب الإحساس بالعزة والكرامة.

ماذا لو تمسك المسلمون بحقهم، ورفضوا الإهانة، ولم يرضوا بالدنيّة في مقدساتهم، واعتصموا بحبل الله القوي المتين بدلاً من الاعتصام بالحبال الواهية؟ أما كان عليهم أن يغيّروا هـٰذا الواقع؟ قد يقول البعض: إنهم لا يستطيعون تغيير الواقع. وهـٰذا صحيح إذا استمروا علىٰ هـٰذا النهج المخزي، ولعل الناس ما زالوا يذكرون شعب فيتنام الصغير كيف استطاع أن يعلّم أمريكا درساً لن تنساه، وحينها غيّرت موقفها وسياستها، وما زال الأمريكان يذكرون ذٰلك الدرس إلىٰ اليوم. إن علىٰ العرب والمسلمين توحيد صفوفهم واتباع نهج الإسلام والسير عليه، ورفض الاستسلام للأمر الواقع، ومعاملة أمريكا بما

تستحق، فذٰلك سيجعلها تعود إلىٰ رشدها وتراعي مصالحها، فكثير من الدول استطاعت أن تحصل علىٰ حقوقها، وتحافظ علىٰ استقلالها وحريتها باستغلال التنافس الاقتصادي والسياسي بين الدول الكبرىٰ.

إن المشكلة ليست في مجيء حزب الليكود أو غيره إلىٰ السلطة، أو عرقلة نتنياهو مسيرة السلام، بل المشكلة أن كثيراً من العرب تخلوا عن قضيتهم، وقبلوا ما كانوا يرفضونه بحجة أن الظروف الدولية قد تغيرت، وأن أمريكا أصبحت هي الدولة العظمىٰ الوحيدة التي بيدها مصير العالم، وليس في إمكانهم أن يحصلوا علىٰ شيء من حقوقهم إلا بالتفاوض مع إسرائيل، وهـٰذا هو منطق الضعيف الذليل.

ومما يزيد الطين بِلَّة أن انضم إلىٰ تحقيق أهداف الصهيونية بعض ممن هم من بني جلدتنا، ممن تسمىٰ بأسمائنا وانتسب إلىٰ ديننا، ومنهم فلول الماركسيّين الذين يقودهم بعض رجال الموساد كما اتضح في مؤتمر كوبنهجن الذي جمع بين بعض أولـٰئك النتنىٰ والإسرائيليين.

لقد عرفت أمريكا في التاريخ أنها سمسار الصهيونية، ففي سنة ١٩٢٢م أعلن الكونجرس الأمريكي قراره الاجتماعي بتأييد وعد بلفور وتأسيس وطن قومي لليهود في فلسطين، ووقّع رئيس الولايات المتحدة المستر «هاردن» موافقته علىٰ قرار الكونجرس، وعندما عقد مؤتمر المائدة المستديرة بين العرب وبريطانيا في فبراير ١٩٣٩م لبحث قضية فلسطين بلندن، خشيت الولايات المتحدة أن تدرك بريطانيا أخطاءها التاريخية مع العرب وتتراجع، فتدخلت لينتهي المؤتمر دون نتيجة حاسمة. وفي عهد الرئيس «روزفلت» عقد المؤتمر الصهيوني العالمي دورة استثنائية في نيويورك بفندق بلتمور، واتخذ قراراً بتحويل فلسطين إلىٰ دولة يهودية، وإجلاء شعبها عنها إذا عارضوا هـٰذا التحويل، فسارع الرئيس الأمريكي «روزفلت» وأعلن تأييده لهـٰذا القرار، وتجمّع مائة وواحد وثمانون عضواً بالكونجرس وقدموا عريضة موقعة منهم طلبوا فيها من الرئيس «روزفلت» أن يصدر وعداً بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين شبيه بوعد بلفور. وفي سنة ١٩٤٤م تنافس المنافس الجمهوري «جون

دبوي» والمرشح الديمقراطي «روزفلت» علىٰ تبني هـٰذا القرار، كما قدم خمسة الأزفيس بروتستانتي في فبراير ١٩٤٥م طلباً إلىٰ حكومتهم بإباحة الهجرة اليهودية إلىٰ فلسطين بدون قيود، واستجابت الحكومة الأمريكية لهـٰذا الطلب، بل طلب «روزفلت» من الملك عبد العزيز آل سعود رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن يحقق أمنية الأسر اليهودية في إقامة مستعمرات في ضواحي المدينة المنورة، وعرض مقابل ذٰلك عشرات الآلاف من الجنيهات الذهب، فرفض الملك عبد العزيز ذٰلك رفضاً باتاً، وهـٰكذا لم تكف أمريكا عن مساعدتها للإسرائيليين انطلاقاً من العقيدة الدينية، ونحن مع الأسف نتجاهل كل ذٰلك، مع أن الرئيس كارتر قال بصريح العبارة عندما نجح في اتفاق كامب ديفيد: إنه قام بذٰلك لأن الأناجيل تملي عليه المساعدة لقيام دولة إسرائيل.

إن الطريق إلىٰ نيل حقوقنا هي الوحدة والاعتصام بحبل الله والاستعداد بالقوة فإن القوي في هـٰذا العالم الجديد هو الذي ينال حقوقه، أما الضعيف فيظلم ويضطهد، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قد أمرنا أن نعد ما استطعنا من قوة حتىٰ نرهب عدو الله وعدونا، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [الأنفال].



حَاجَتُنَا إِلَىٰ قَائِدٍ مِثْلَ صَلَاحِ الدِّيْنِ وَأَبْطَالِ حِطِّيْنَ

إن ما يجري اليوم في فلسطين وخاصة في غزّة هو نتيجة من نتائج ما جرىٰ سنة ١٩١٧م، عندما دخل الإنجليز فلسطين بمساعدة عربية إسلامية، وقد سنّت بريطانيا قوانين في ظل انتدابها عدّت فلسطين بلداً بلا شعب. وفي دستور فلسطين الذي سنته بريطانيا نص عجيب يقول: «إنه ما دام الشرّع الإسلامي يبيح لسلطان تركيا حق التصرف في الأرض وما دام المندوب السامي البريطاني حلّ محلّ السلطان فإن من حقه أن يتصرف كيف شاء في أرض فلسطين». وفي نص عجيب آخر يقول: «إن المندوب السامي البريطاني غير مكلّف بتطبيق العدالة والمساواة ومبادئ التشريع العام في فلسطين إلا حيث تسمح له الظروف».

ولذٰلك كان من القوانين الجائرة التي سنتها بريطانيا في فلسطين والتي لم تسمح الظروف إلا بها في نظر السياسة البريطانية الماكرة قانون ينص علىٰ ما يلي: «إنّ أصحاب المشاريع من حقهم الاستيلاء علىٰ أيّ أرض تخص مشاريعهم إذا لم يوافق مالكها علىٰ بيعها، ولصاحب المشروع أن يودع الثمن المحكمة بأمر المندوب السامي». والمعروف أن أصحاب المشاريع المقصودين كلهم من اليهود وأصحاب الأرض كلهم من المسلمين، فخطة الاستيلاء علىٰ الأراضي الإسلامية وإقامة المستوطنات هي خطة قديمة تشترك فيها كل القوىٰ الاستعمارية، وقد قاوم الشعب الفلسطيني وقاتل منذ ذٰلك اليوم، وفي تلك المعارك التي قامت وتحديداً في ١٩/١١/١٩٣٥م سقط الشيخ عز الدين القسّام شهيداً إن شاء الله، والذي يُخلد ذكره اليوم في كتائب الجناح العسكري لحماس وكذا في صواريخهم المسماة باسمه، تأكيداً بأن الجهاد هو الطريق الوحيد لإعادة الحق إلىٰ نصابه والأرض إلىٰ أهلها.

لقد كانت اتفاقات العرب وخططهم وبالاً علىٰ فلسطين، ولولا أن الهدنة فرضت علىٰ الجيوش العربية في سنة ١٩٤٨م لكان النصر حليفهم كما ذكر ذٰلك أحد قادتها وهو اللواء محمود شيت خطاب رَحِمَهُ اللَّهُ إذ يقول: «انقلبت خطط تلك الجيوش من خطط هجومية إلىٰ خطط دفاعية، ومنذ ذٰلك اليوم لم تبدّل خطط تلك الجيوش فهي خطط متمسكنة لا تفيد صديقاً ولا تضر عدواً بل هي إلىٰ نفع العدو أقرب، وقد تقبل الفلسطينيون الهدنة علىٰ مضض»، ويقولون علناً: «إننا كبدنا اليهود خسائر فادحة حين كنا وحدنا في الميدان قبل دخول الجيوش العربية أرض فلسطين، وكان اليهود يخشوننا فهم دائماً مدافعون ونحن دائماً مهاجمون، فكيف يصحّ أن نقبل خطة الدفاع والجيوش العربية معنا». ويقول أيضاً: «ولست أنسىٰ ما حييت منظر المجاهدين الفلسطينيين وهم يطاردون الصهاينة ويُقْصُونَهم عن مدينة جنين البطلة وعن قراها، لقد كانوا يسابقون الجيش العراقي في مطاردة شديدة جدّاً للعدو ويومها كان هتافهم: «سيف الدين الحاج أمين نحن بالله منصورون» ومضت الجيوش العربية إلىٰ بلادها، ونجحت إسرائيل في توطيد أركان دولتها وأصبحت القضية الفلسطينية كقميص عثمان بالنسبة للدول العربية يذكرونها دائماً ولا يكادون يفعلون من أجلها شيئاً، ومضت سنوات عجاف ثقيلة الخطىٰ مليئة بالأحداث الجسام حتىٰ جاء حزيران ١٩٦٧م وجاءت الهزيمة التي سميناها نكسة».

إنّ مما يدعو للأسىٰ والحزن أن يتجه قادة الدول العربية اليوم إلىٰ الولايات المتحدة لتكون حَكَماً وهي الخصم، مع أن الكل يعرف أن إسرائيل لن تقدم علىٰ بناء المستوطنات ولا ضرب الفلسطينيين المجاهدين إلا بتأييد من أمريكا أمها الرؤوم، فبريطانيا ولدتها وأمريكا حضنتها فكانت أكثر رعاية لها من أمها الأصلية، ولذٰلك مكنتها من السير في طريق الإجرام والظلم للمسلمين، فاستحوذت علىٰ أرضهم ومقدساتهم، وقتلت رجالهم ونساءهم وأطفالهم، وفرضت عليهم الشتات، ومع ذٰلك نرىٰ من الدول العربية مَن لا قبلة لها إلا البيت الأبيض، لا تتجه إلا إليه، ولا تتحرك إلا صوبه.

قد يقول قائل: إن المسلمين اليوم عددهم يزيد علىٰ المليار مسلم، فهل

يعقل أن تكون هٰذه الأعداد كلها صفراً علىٰ الشمال؟ ولا تخرج من بينها قيادة تأخذ علىٰ عاتقها تحرير القدس.

إننا نقول لمثل هٰؤلاء: إن المسلمين فيهم الخير والصلاح، ولٰكنهم يحتاجون قيادة صادقة، تجمع شتاتهم وتوحد صفوفهم، ونقول: إن تاريخ الأمة الإسلامية حافل بالمفاجآت، فقد احتل الصليبيون القدس قرابة قرن من الزمان فقيض الله صلاح الدين الأيوبي، وبعد معارك انتصر الحق علىٰ الباطل في معركة حطّين فكان الفتح المبين؛ وذٰلك لأن القلوب قد توحّدت خلف قيادة صالحة تلتزم بأمر الله مصداقاً لقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ۝٧ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعۡسٗا لَّهُمۡ وَأَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۝٨ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۝٩ ۞أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۖ وَلِلۡكَٰفِرِينَ أَمۡثَٰلُهَا ۝١٠ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ ۝١١﴾ [محمد].

إن أزمة الأمة اليوم هي أزمة قيادة، فنحن في حاجة إلىٰ قيادة صالحة تقود الأمة وتخرجها مما فيه كصلاح الدين، يقول منشئ المنار الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله في كلمته عن صلاح الدين وأثره وعن واقع الأمة اليوم: «فضائل صلاح الدين كثيرة: من قوة إيمان، وعلوّ أخلاق، وصلاح أعمال، وعدل أحكام؛ ولٰكن منّته الكبرىٰ علىٰ أمم الشرق كافة، وعلىٰ العالم الإسلامي والعرب خاصة، إنما هي كفايته إيّاهم طغيان الاستعمار الغربي، والطوفان الأوروبي، الذي فاضت سيوله باسم التعصب الصليبي في زمن كانت فيه جميع الشعوب الأوربية في ظلمات حالكة من الهمجية والقسوة والخرافات والجهل المطلق، والبعد الشاسع عن هداية الدين المسيحي الصحيح، الذين ارتكبوا جميع الشرور والفظائع باسمه، ووالله إنهم قد كانوا وما زالوا أبعد خلق الله عن دين المسيح، وفضائل المسيح، ووصايا المسيح عليه الصلاة والسلام، ولولا صلاح الدين لأغرق طوفانهم الشرق كله منذ القرن السادس للهجرة، فأهلكوا الحرث والنسل، وطمسوا نور الحق والعدل وأفسدوا جميع الأرض.

لم يكن صلاح الدين رحمة من الله تعالىٰ بالشرق وحده، بل كان رحمة بالغرب وبملوكه وقواده الوحشيين الهمجيين وشعوبه المظلومين أيضاً، فقد أراهم بجهاده فيهم، وبنصر الله له عليهم ما طبعه عليه الإسلام من الحق والعدل، والرحمة والفضل، وعلوّ الأخلاق والشيم، فإن كانوا قد خسروا بسيفه نتيجة الحرب كلها، فقد ربحوا بمعرفة فضائله وفضائل أمته ما كان خيراً لهم ولشعوبهم منها.

رأوا من صلاح الدين ومن أمة صلاح الدين، ومن جيوش صلاح الدين، وعلموا من أمر رعايا صلاح الدين من اليهود والمسيحيين خلاف ما كانوا يعلمون من ملوكهم وشعوبهم ورؤساء دينهم ودنياهم، وما زال علماؤهم ومؤرِّخوهم يجلونه وينوِّهون بفضائله، ولم تنس سوريّة ما كان من عاهل ألمانيا الأكبر عندما زار ضريح صلاح الدين في دمشق من إجلاله له، ووضع الإكليل علىٰ قبره.

رأوا أن سلطان المسلمين خادم للأمة، لا يتعدىٰ سلطانه عليها تنفيذ الشريعة، فلا سلطان له علىٰ أموال الناس ولا علىٰ دمائهم ولا علىٰ نسائهم، ولا تحكّم له في أنفسهم ولا في شرفهم فضلاً عن عقائدهم وآرائهم، بل هو أرفق بهم من آبائهم وأمهاتهم وأولي أرحامهم.

رأوا أن المسلمين أحرار في دينهم وضمائرهم، ليس عليهم سيطرة باباويّة ولا كنسيّة فيها، علىٰ خلاف ما كان عليه ملوك أوربّة ورؤساء الدين فيها من استبداد في الأحكام، واستعباد للناس».

ثم انتقل الشيخ محمد رشيد رضا إلىٰ حال الأمة العربية اليوم فقال: «ربّما يتوهم بعضكم أنّ الأمة العربية لا تملك ما يملك المعتدون عليها، والجادّون في السعي لاستعبادها، من المدافع والدبابات والطيارات والأساطيل، فتقاتلهم بمثل سلاحهم كما أوجب الشرع عليها، كلَّا إنّ هٰذا أهون الخطرين؛ وإنما الخطر الأكبر الذي يندفع باندفاعه كل ما دونه هو قتال العرب بالعرب، وتخريب بيوتهم بأيديهم، بما يبذله هٰؤلاء المستعمرون لهم من مال يستأجرونهم به لقتل أنفسهم، وما هو إلا مما يسلبونه من بلادهم في

الحال أو المآل، وبما يستخدمون به طُلَّاب الإمارة والوزارة وما دونهما من المناصب لخيانة أمتهم وهدم معاقل استقلالها؛ وإنما هو ألقاب باطلة لا يخرجون بها عن كونهم خدماً أذلة للمستعمر السّالب لسلطانهم الصحيح، ومجدهم التليد، فلعنة الله علىٰ أمثال هـٰذه الإمارات والوزارات والمناصب الصوريّة المدنّسة برجس الخيانة، وعلىٰ هـٰذا السحت الذي يبيعون به أوطانهم لأعدائهم.

وإن أمة يعيش فيها أمثال هـٰؤلاء الخونة مكرّمين مخدومين مزيّنين بألقاب الجلالة والعظمة، والسموّ والفخامة والسعادة لا تلبث بعد تطهيرها من هـٰؤلاء الأنذال، أن يظهر فيها صلاح الدين فيقودها إلىٰ الوحدة ومجد الاستقلال»[1].

هـٰذه كلمات قالها الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله قبل سنين طوال وما زلنا نعاني من الفرقة والخلاف والعدو الإسرائيلي يتحكّم فينا، فأقام دولته علىٰ أرض فلسطين، واستولىٰ علىٰ القدس شرقها وغربها. نسأل الله أن يقيّض لهـٰذه الأمة من يقودها إلىٰ تحرير المقدسات، فكما أنجبت صلاح الدين وأبطال حطين ستنجب كصلاح الدين آخر وكأبطال حطين آخرين إن شاء الله، وليس ذٰلك علىٰ الله بعزيز، والأيام حبالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٢٠٠﴾ [آل عمران].



(١) «مجلة المنار» (٣٢/ ٥٩٣ ـ ٦٠٧) بتصرف.

﴿رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيۡـهِۖ﴾

كل المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها يشعرون بالمرارة من احتلال الصهاينة لأرض فلسطين، ولم يستسغ أحد منهم قط أن يأتي اليهود من الشرق والغرب ليقيموا دولة إسرائيل علىٰ أرض فلسطين، وإذا كانت قد قامت دولة بالقوة الغربية وخاصة قوة أمريكا وتمهيد بريطانيا، وأصبحت إسرائيل أمراً واقعاً، فإن المسلمين لا يمكن أن يقبلوا بأي حال من الأحوال بدولة معتدية علىٰ ديارهم، ولا يمكن أن يقبلوا بأن تكون القدس بيد غير المسلمين لأن ذٰلك يتعارض مع عقيدتهم، وإذا كانوا لا يستطيعون أن يحققوا هدفهم اليوم من تحرير أرضهم واستعادة مقدساتهم وطرد المحتل من بلادهم؛ فالذي يجب عليهم ألا يستسلموا ويوافقوا برضاهم واختيارهم ويبصموا علىٰ كل ما يريده الآخرون، ولتكن الأمور علىٰ حالها حتىٰ يقيّض الله لهٰذه الأمة رجالاً يستعيدون مجدها ويرفعون الراية، وخير لهٰذا الجيل إذا لم يستطع أن يقوم بالمهمة ألا يفرَّط أكثر مما فرّط. والذين يظنّون أن في الإمكان إقامة السلام مع إسرائيل واهمون، اللٰهم إلا إذا كان استسلاماً كاملاً من جانب العرب، وسيطرة تامة من جانب إسرائيل، وما يثار اليوم في المجتمعات الإسلامية من تشكيك في عقيدة المسلمين لتحطيمها هو من فعل عملاء إسرائيل والصهيونية. ومن المؤسف أن بعض هٰذه الأفكار التي تشكك في عقائد المسلمين، وتدافع عن وجود إسرائيل تنشر في صحف علمانية محسوبة علىٰ العرب والمسلمين.

إن العلمانيين يقفون في صف أعداء المسلمين، وقد فرح اليهود بمواقفهم لأنهم معاول هدم في هٰذه الأمة، ورأوا أن أمة بداخلها مثل هٰؤلاء العلمانيين أمة ضعيفة مهزومة، ولذٰلك صرخ اليهود عندما دخلوا القدس سنة ١٩٦٧م قائلين: محمد مات وخلّف بنات!!!

فهل صحيح ما تقوله إسرائيل: محمد مات وخلّف بنات؟ إن محمداً ـ عليه الصلاة والسلام ـ الذي حاربه اليهود من قبل، رد الله كيدهم إلىٰ نحورهم وأخرجهم من جزيرة العرب بعد أن فسدوا وحاربوا الحق والعدل الذي جاء به محمد ﷺ، إن كان محمد ﷺ قد مات كما مات من قبله الرسل والأنبياء فإن رسالته التي جاء بها لن تموت وإن تخلىٰ عنها بعض المسلمين. وإذا كان الإسرائيليون يقصدون بالبنات الجيل الذي مكنهم من احتلال فلسطين، وعقد الاتفاقيات معهم، فإن أمة الإسلام فيها الرجال المجاهدون، والجهاد ماض إلىٰ قيام الساعة: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء:٢٢٧].

إن دولة الباطل ساعة ودولة الحق إلىٰ قيام الساعة، إذا كان نتنياهو يقول اليوم: إن القدس الموحدة عاصمة لإسرائيل ولا عودة إلىٰ حدود ما قبل (٦٧). فإن المجاهدين من أبناء شعب فلسطين ومعهم كل مسلم مخلص لعقيدته لن يقبلوا أن تكون القدس لإسرائيل حتىٰ لو قبل جميع الزعماء العرب، فكما حرّر صلاح الدين القدس من أيدي الصليبيين سيحرّرها المجاهدون من أيدي الصهيونيين مهما طال الزمن، وإذا كانت إسرائيل تعربد اليوم بقوة أمريكا الظالمة فإن لكل ظالم مصيراً معروفاً في تاريخ البشرية، وهٰؤلاء المتخاذلون من أبناء العرب والمسلمين سيطويهم التاريخ ولن يذكرهم أحد إلا بالخزي والعار، وسيخلّد التاريخ ذكر كل من وقف في وجه الباطل وضحّىٰ من أجل مقدسات الأمة، وهٰؤلاء هم الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، قال سبحانه: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾﴾ [الأحزاب].

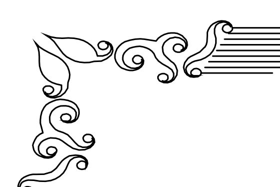
إن الذي يتأمل هٰذه الآيات يؤمن أن النصر لأهل الحق، وأن النصر آت إن شاء الله، وأن طريق النصر هي الصدق مع الله سبحانه.

أُوْلِئَكَ هُمُ المُجاَهِدُونَ حَقّاً

إن المقاومة للمحتل الصهيوني جهاد في سبيل الله، فهي فرض واجب وحتم لازم لإعلاء كلمة الله، وتحرير فلسطين، واستعادة للأقصىٰ الشريف، وأفراد هٰذه المقاومة وعناصرها مجاهدون في سبيل الله حقّاً، وإضعاف قوة هٰؤلاء المجاهدين أمام العدو الصهيوني، وتمكين العدو من هزيمتهم بخذلانهم مادياً ومعنوياً، اقتصادياً وإعلامياً، وسياسياً وعسكرياً، داخلياً من أرض المقاومة، أو خارجياً من أي بلد من بلاد المسلمين سبب لعتوِّ المحتل وتجبّره وطغيانه وتجاوزه الحد في عدوانه وغطرسته، وهو كذٰلك ضوء أخضر لتهيئة الفرصة لأعداء الإسلام في كل مكان أن يفرحوا ويتضامنوا مع الصهيونيين، وليساعدوهم بالمال والسلاح حتىٰ يقتلوا ويشردوا كل الفلسطينيين، وحتىٰ لا يبقىٰ في فلسطين إلا أعداء الإسلام من الصهاينة والصليبيين فيقيموا الهيكل المزعوم، ويرفعوا الصليب في المسجد الأقصىٰ، ويستولوا علىٰ القدس كلها شرقيّها وغربيّها.

أليس علىٰ المسلمين جميعاً حكومات وشعوباً أن يستيقظوا من رقدتهم وينتبهوا من غفلتهم، فيهبوا لنصرة إخوانهم المجاهدين هناك علىٰ أرض الرباط، ويقفوا معهم في محنتهم وأزمتهم فإنها أزمة الأمة بأسرها، وأما من يقف ضد أبناء المقاومة ـ المجاهدين في سبيل الله حقّاً ـ إنما يقف ضد الحق؛ لأن الانتفاضة والمقاومة ما اشتعلت وقامت إلا لتكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلىٰ، فهم يقاتلون في سبيل الله من أجل أن ينالوا الشهادة ويفوزوا بجنات النعيم، ولا طمع لهم في الدنيا إلا أن يرضوا الله بتحرير فلسطين والمسجد الأقصىٰ، حتىٰ يعيش الشعب المسلم في فلسطين كغيره من الشعوب في أمن وأمان، وليرجع هٰؤلاء الظالمون الغاصبون من حيث أتوا.

فهٰؤلاء هم المجاهدون حقّاً، وهم من يستحقون الدعم والتأييد من عموم المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.



﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ﴾

إن المجاهدين من أبناء فلسطين قد التزموا منذ بدأت الانتفاضة الفلسطينية برفض أي حلٍّ خارج نطاق عودة فلسطين إسلامية من النهر إلىٰ البحر، دون التفريط في شبر واحد من ترابها، وكل الحلول التي تتضمن الاعتراف بإسرائيل حلول تتعارض تعارضاً مطلقاً مع الأساس الذي قامت عليه الانتفاضة الفلسطينية، ومثل هٰؤلاء هم من يرجىٰ التحرير علىٰ أيديهم.

وإذا كانت الهزيمة العربية في حرب ١٩٦٧م هي التي سببت الأوضاع الحاضرة، فيجب علىٰ المسلمين أن يكفّروا عن ذنبهم، ويوحِّدوا كلمتهم، ولا يستسلموا للضغوط الأمريكية، ولن تستطيع أمريكا أن تحقق أهداف الصهيونية إلا إذا وجدت في المسلمين تخاذلاً ونفاقاً، أمّا إذا استمسكوا بالحق واعتصموا بحبل الله ولم يتفرقوا فلن تستطيع أمريكا ولا إسرائيل أن تحقِّق ما تهدف إليه: قال سبحانه آمراً بالاعتصام بحبله: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ [آل عمران:١٠٣]. فعلىٰ المسلمين ألا يتخاذلوا عن قضية فلسطين، وعليهم ألا يختلفوا ولا يتنازعوا، فالفشل في الخلاف والنزاع كما قال سبحانه في محكم كتابه الكريم: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٤٦﴾ [الأنفال]. فهٰذه الآية فيها الحث علىٰ الاتحاد والصبر علىٰ المكاره، وصدّرها بالأمر بطاعة الله ورسوله لأن فيها حياة القلوب والأجساد، وخطاب الله موجه للمسلمين كافة؛ لذا عليهم ترك إرضاء أمريكا وإسرائيل أو التقرب إليهم.

إن من الواجب معرفة أن الولايات المتحدة تقوم سياستها علىٰ الحفاظ بالدرجة الأولىٰ علىٰ وجود إسرائيل، وأن ذٰلك يمثل هدفاً ومصلحة دائمة لها، أما مصالح أمريكا مع بلاد المسلمين فهي مصالح وقتية، وهٰذه المصالح

الوقتية تدفع الولايات المتحدة إلىٰ محاولة التوصل إلىٰ تسوية بالنسبة للقضية الفلسطينية، لٰكنها تسوية ظالمة تمكن إسرائيل من الهيمنة واستمرار احتلالها للأراضي الفلسطينية. ويجب أن يتذكر المسلمون أن النصر بيد الله لا يملكه سواه، بل منه وحده سبحانه لا من أمريكا ولا من غيرها، قال سبحانه: ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [آل عمران:١٢٦]، وقال سبحانه مبيناً أنه إن نصر فلا غالب لمن نصر، وإن خذل فلا ناصر لمن خذل: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [آل عمران]، وأرشد سبحانه إلىٰ سبيل تحقيق النصر فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾﴾ [محمد]، وأمر أولياءه بالمصابرة والمرابطة في سبيله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾ [آل عمران]، فبالصبر والمصابرة والمرابطة يتحقق النصر بإذنه تعالىٰ.



﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾

تقوم في الغرب محاولات من أجل أن يقتنع العرب والمسلمون بالتخلي عن القدس لإسرائيل نهائياً لتكون عاصمة لها، وقدّم اللُّوبي الصهيوني في الكونجرس الأمريكي مشروعاً لنقل سفارة أمريكا من تل أبيب إلىٰ القدس، وهناك سبقتها سفارة كوستاريكا والسلفادور من دول أمريكا الجنوبية، والدول الأخرىٰ في طريقها إلىٰ ذٰلك، فهل يقبل العرب والمسلمون التخلي عن القدس، ويزورونها فقط كما يزورها المسيحيُّون من أهل الغرب والشرق وهي تحت الاحتلال الإسرائيلي؟

فضيلة شيخ الأزهر الشيخ جاد الحق علي جاد الحق رَحِمَهُ ٱللَّهُ وجه خطاباً إلىٰ المسلمين دعاهم فيه إلىٰ الامتناع عن زيارة القدس المحتلة قبل تحريرها من الاحتلال الإسرائيلي، وقال: «كان الأولىٰ بالمسلمين من غير أهل فلسطين والقدس خاصة أن ينأوا عن التوجه إلىٰ القدس حتىٰ تتطهر المدينة من دنس المغتصبين، وتعود إلىٰ أهلها العرب آمنة مطمئنة». وقال: «إن الإقدام علىٰ زيارة القدس من غير أهل دارها من قبيل الإقرار بالرضا من الوافدين إليها بهٰذا الأمر وباحتلال القدس وسائر فلسطين من الإسرائيليين وهٰذا ما لا يرضاه أحد من المسلمين».

وإذا تساهل المسلمون في ذٰلك ورضوا أن تكون القدس عاصمة لإسرائيل، فإن الراضين يكونون عصاة لرب العالمين، ويكونون قد خانوا الأمانة، وتخلوا عن مسؤوليتهم في حماية مقدسات الإسلام، فسيقيّض الله لدينه من ينصره، قال تعالىٰ: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم﴾ [محمد:٣٨]، هٰذا خطاب للمسلمين إذا ما تخلوا عن واجبهم في الدفاع عن الدين ومقدساته يستبدل الله بهم قوماً آخرين. فالمسلمون لا حياة

لهم إلا بالتمسك بالإسلام والحرص علىٰ مقدساتهم، وإلا لم يعد لهم دور في الحياة، وقد كانوا لا شيء فأصبحوا بالإسلام كل شيء عندما تآلفت قلوبهم وتوحدت كلمتهم، قال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [الأنفال]، قال الإمام الزمخشري في تفسير هٰذه الآية: التأليف بين قلوب من بعث إليهم رسول الله ﷺ من الآيات الباهرة؛ لأنّ العرب لما فيهم من الحمية والعصبية، والانطواء علىٰ الضغينة في أدنىٰ شيء وإلقائه بين أعينهم إلىٰ أن ينتقموا لا يكاد يأتلف منهم قلبان، ثم ائتلفت قلوبهم علىٰ اتباع رسول الله ﷺ، واتحدوا، وأنشأوا يرمون عن قوس واحدة، وذٰلك لما نظم الله من ألفتهم وجمع من كلمتهم، وأحدث بينهم من التحاب والتوادّ، وأماط عنهم من التباغض والتماقت، وكلفهم من الحب في الله والبغض في الله، ولا يقدر علىٰ ذٰلك إلا من يملك القلوب، فهو يقلبها كما شاء ويصنع فيها ما أراد[1].

إن من التكاليف الإسلامية الحب في الله والبغض في الله ومعنىٰ ذٰلك الإخلاص للمبادئ والقيم فلا نساوم عليها.

واأسفاه!! إسرائيل تصادر أرض القدس وتقيم عليها المستوطنات، وتقوم بالحفريات التي تضر بالمقدسات لتقيم هيكل سليمان المزعوم في المسجد الأقصىٰ، والعرب لا يزيد فعلهم علىٰ الشجب، بل بعضهم يؤيد ما تفعله إسرائيل من ضرب وتقتيل للمجاهدين ويصرح بأن ما يقوم به المجاهدون هو نوع من الإرهاب الأصولي حسب زعمهم، وأن المجاهدين هم من يستفز إسرائيل. ونحن نقول: نعم إن كان دفاعنا عن مقدساتنا ومقاومتنا للعدو إرهاباً فَنِعمَ هٰذا الإرهاب، فهو الذي حثنا عليه صريح القرآن، قال تعالىٰ: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ

(١) «الكشاف عن حقائق التنزيل» للزمخشري (٢/ ٢٢١، ٢٢٢).

إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾﴾ [الأنفال].

ويخطئ من يظن أن إسرائيل قد جنحت للسلم وهي تريد أن تستحوذ علىٰ القدس، فجنوحها للسلم هو انسحابها من القدس وعموم فلسطين. وأمّا العمل علىٰ جعلها عاصمة أبدية لإسرائيل واحتلال فلسطين فهٰذا يعد جنوحاً منها للحرب، وإن ما تتظاهر به من رغبة في السّلام إنما هو خدعة، قال سبحانه: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾﴾ [الأنفال].

فالحذر كل الحذر من الإعراض عن منهج القرآن لئلا ينطبق علينا قول الله تعالىٰ: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم﴾ [محمد:٣٨].



﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾

ما نراه اليوم من محاولات التوسع من جانب بني صهيون في الأراضي الفلسطينية وفرض سيطرتها علىٰ كل الجبهات يدل دلالة واضحة، علىٰ أن كل ما يقال عن السّلام في المنطقة إنما هو قول خرافة، وأن هناك معارك قادمة بين المسلمين واليهود شئنا أم أبينا، وهٰذا ما يؤكد لنا ما نؤمن به نحن المسلمون من أن معركتنا مع اليهود مستمرة، وأن المعركة الفاصلة سيكون النصر فيها للمسلمين، كما أخبر بذٰلك سيدنا رسول رب العالمين عليه الصلاة والسلام. فإذا كان المسلمون اليوم في حالة ضعف أو أن بعض قادتهم قد أثرت فيه الثقافة الصهيونية فلا يرىٰ في إسرائيل إلا الجار والصديق الطبيعي الذي يمكن التعايش معه، وتجاهل كل الحقائق التي تثبت أن السلام مع إسرائيل مستحيل، وأن مطامعها لا تقف عند حد، فإن المستقبل كفيل بوضع الأمور في نصابها، وتصحيح كل الأوضاع، وإظهار كل الأفكار الخاطئة، وتمييز الخبيث من الطيب، والحق من الباطل، وعندئذ سيكون النصر لأهل الحق، ويهزم جمع الباطل مهما طال الزمن وتعالت أصوات المبطلين، هٰذه هي سنة الله في خلقه، فدولة الباطل ساعة ودولة الحق إلىٰ قيام الساعة، يجب أن يعرف الغافلون من المسلمين أن اليهود لن يتخلوا عن أهدافهم العدوانية، فمنذ قيام دولتهم وهم يخططون لتفجير المساجد الإسلامية في القدس، فهناك منظمة إسرائيلية تسمىٰ المنظمة العسكرية القومية (إتشل) موجودة قبل قيام دولة إسرائيل، ومن أهدافها الأولىٰ أن تمتد حدود إسرائيل من النيل إلىٰ الفرات، وقامت بمحاولة لنسف المسجد الأقصىٰ عن طريق وضع متفجرات؛ ولٰكن الفلسطينيين تصدوا لهم، وأفشلوا مخططهم، وبعد مرور (١٩سنة) علىٰ ذٰلك الحادث قاموا بعد حرب حزيران ١٩٦٧م بمحاولة مرة أخرىٰ للاستيلاء علىٰ

المسجد الأقصىٰ وقبة الصخرة، وإزالتها لإقامة هيكل سليمان علىٰ أنقاضها، ففي اليوم الثالث للحرب اقتحم الجنرال موردخاي غور بمركبته ساحة الأقصىٰ الشريف وفرض سيطرة قواته عليه، وجاء بعده بأيام الحاخام الأكبر للجيش شلومو غورة وخمسون من أتباعه وأقاموا صلاة دينية في ساحة المسجد. واليوم هناك محاولات لإقامة كنيس في ساحة المسجد، وفي القدس تقوم المستوطنات علىٰ قدم وساق منذ عهد رابين وبيريز وإلىٰ اليوم، أما نتنياهو فهو يعلن ويتحدىٰ بإقامة المستوطنات، وقد سبقت لإسحاق رابين تصريحات بضرورة استعداد إسرائيل لخوض حرب شاملة علىٰ المدىٰ المتوسط والبعيد ضد العرب والمسلمين وبالأسلحة النووية.

لا فرق بين رابين وبيريز ونتنياهو وغيرهم في الهدف، فهدفهم واحد وهو القضاء علىٰ الإسلام والمسلمين، وكما قال أحد المفكرين العرب: «إن الفرق بين بيريز ونتنياهو أن بيريز يريد قتل الفلسطينيين بالسم البطيء، أما نتنياهو فيريد قتلهم بالمقصلة، فالغاية واحدة وإن اختلفت الوسائل، فلذٰلك علىٰ العرب والمسلمين ألا يخدعوا أنفسهم بالسلام المزعوم، فإنه لن يأتي لهم بخير، ولن يكون عن طريقه نصر ولا سيادة في المستقبل. إن العرب والمسلمين إذا انصاعوا لما تريده أمريكا منهم فالذي سيكون أن إسرائيل ستكون هي القوة الوحيدة في المنطقة، وستفرض ما تريد تحقيقه حسب عقيدتها الصهيونية، خاصة وفي الإدارة الأمريكية أكبر المؤيدين لإسرائيل والمعروفين بأصولهم اليهودية، فضلاً عن أن أعظم أهداف أمريكا تمكين الصهيونية في المنطقة».

فماذا ينتظر المسلمون من أمريكا بعد ذٰلك؟ إن زعماء بني صهيون قد وجدوا من يدعمهم في الإدارة الأمريكية، ويتفق معهم في الفكر والسياسة، بل الإدارة الأمريكية تكرّس جهودها لدعم إسرائيل، فمن يقف معكم أنتم يا عرب السلام المزعوم؟

السّلام معناه عند هـٰؤلاء هو الاستسلام لمطامع إسرائيل القريبة والبعيدة، فهل ترضون أن تحمّلوا أنفسكم مسؤولية ضياع الحقوق،

فيحاسبكم الله، وتلعنكم الأجيال، وتسوِّدون صفحاتكم في التاريخ؟ الرسول ﷺ يقول: «**الجِهَادُ مَاضٍ إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ**»[1] وعندما نقول الجهاد ليس معناه أن نلقي بأنفسنا إلىٰ التهلكة؛ فالإلقاء إلىٰ التهلكة له معنيان:

الأول: أن نخوض الحرب علىٰ غير استعداد ونخالف أمر الله في قوله: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ﴾ [الأنفال: ٦٠].

الثاني: أن نترك الجهاد وندع الأعداء يفعلون بنا ما يريدون، ونسعىٰ فقط إلىٰ الجانب الاقتصادي ونحرص عليه أكثر من حرصنا علىٰ عقيدتنا وأوطاننا، ونتركهم يهددون حياتنا وحياة الأجيال من أمتنا والإسلامية، وهٰذه هي التهلكة التي حذرنا منها القرآن في قوله تعالىٰ: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ [البقرة].

سبب نزول هٰذه الآية يوضح لنا هٰذا المعنىٰ، فَعَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِيْ حَبِيبٍ عَنْ أَسْلَمَ أَبِيْ عِمْرَانَ قَالَ: غَزَوْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ نُرِيدُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ وَعَلَىٰ الْجَمَاعَةِ عَبْدُ الرَّحْمَـٰنِ بْنُ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ، وَالرُّومُ مُلْصِقُو ظُهُورِهِمْ بِحَائِطِ الْمَدِينَةِ، فَحَمَلَ رَجُلٌ عَلَىٰ الْعَدُوِّ، فَقَالَ النَّاسُ: مَهْ مَهْ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا اللهُ! يُلْقِيْ بِيَدَيْهِ إِلَىٰ التَّهْلُكَةِ . فَقَالَ أَبُو أَيُّوبَ: إِنَّمَا نَزَلَتْ هَـٰذِهِ الآيَةُ فِينَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ لَمَّا نَصَرَ اللهُ نَبِيَّهُ وَأَظْهَرَ الإِسْلَامَ قُلْنَا: هَلُمَّ نُقِيمُ فِيْ أَمْوَالِنَا وَنُصْلِحُهَا، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ﴾، فَالإِلْقَاءُ بِالأَيْدِيْ إِلَىٰ

---

(١) «سنن أبي داود» (٢٥٣٤)، «مصنف عبد الرزاق» (٩٦١١)، «المعجم الأوسط» للطبراني (٤٧٧٥)، «السنن الكبرىٰ» للبيهقي (١٨٢٦١)، «مجمع الزوائد» (٤٠٤) قال الهيثمي: رواه الطبراني في «الأوسط» وفيه إسماعيل بن يحيىٰ التيمي كان يضع الحديث. وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (٢٥٣٢)، والحديث وإن كان ضعيفاً إلا أنه تشهد لمعناه أحاديث صحيحة منها: حديث عُرْوَةَ الْبَارِقِيِّ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**الْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ الْأَجْرُ وَالْمَغْنَمُ**» رواه البخاري (٢٨٥٢)، لذا بوّب البخاري ﷺ علىٰ هٰذا الحديث بقوله: بَاب الْجِهَادُ مَاضٍ مَعَ الْبَرِّ وَالْفَاجِرِ.

التَّهْلُكَةِ أَنْ نُقِيمَ فِيْ أَمْوَالِنَا وَنُصْلِحَهَا وَنَدَعَ الْجِهَادَ. قَالَ أَبُو عِمْرَانَ: فَلَمْ يَزَلْ أَبُو أَيُّوبَ يُجَاهِدُ فِيْ سَبِيلِ اللهِ حَتَّىٰ دُفِنَ بِالْقُسْطَنْطِينِيَّةِ(١). وليس معنىٰ ذٰلك أن يهمل المسلمون الجانب الاقتصادي، إذ من الاقتصاد والمال يكون الإنفاق في سبيل الله، ولٰكن المعنىٰ ألا يهمل المسلمون الدفاع عن الإسلام وعن أوطانهم وينصرفوا إلىٰ كسب الأموال والاهتمام بها علىٰ حساب دينهم وأمتهم، ويمكّنوا الأعداء من السيطرة علىٰ مقدراتهم.

ولا يفوتنا أن ننوِّه هنا إلىٰ أنّ هٰذه الحادثة التي وقعت علىٰ أبواب القسطنطينية بينت حكم العمليات الاستشهادية والانغماس في العدو من أجل النكاية به وإدخال الروع في صفوفه، وأن الصحابة ﷺ ما كانوا يلقون بالاً للمال والنفس أمام العقيدة، فابتغاء مرضاة الله هي غايتهم، قال تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾﴾ [البقرة]، فقد نزلت هٰذه الآية في صهيب الرومي رضي الله عنه فإنه أقبل مهاجراً إلىٰ رسول الله ﷺ فاتبعه نفر من قريش فنزل عن راحلته، وانتثل ما في كنانته وأخذ قوسه، وقال: لقد علمتم أني من أرماكم، وايم الله لا تصلون إليّ حتىٰ أرمي ما في كنانتي، ثم أضرب بسيفي ما بقي في يدي منه شيء، ثم افعلوا ما شئتم، فقالوا: لا نتركك تذهب عنا غنيّاً، وقد جئتنا صعلوكاً، ولٰكن دلنا علىٰ مالك بمكة ونخلي عنك، وعاهدوه علىٰ ذٰلك، ففعل، فلما قدم علىٰ رسول الله ﷺ، نزلت: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ﴾ الآية، فقال له رسول الله ﷺ: «**رَبِحَ البَيْعُ أَبَا يَحْيَىٰ**» وتلا عليه الآية(٢).

---

(١) «سنن أبي داود» (٢٥١٤)، «سنن الترمذي» (٢٩٧٢) قال أبو عيسىٰ الترمذي: هٰذا حديث حسن صحيح غريب. وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٣٨٨).

(٢) «المستدرك للحاكم» (٥٧٠٠) قال الحاكم عن الحديث الأول: صحيح علىٰ شرط مسلم ولم يخرجاه وسكت عنه الذهبي في «التلخيص»، وأما عن الحديث الثاني فأخرج القصة دون ذكر سبب النزول وقال فيها: هٰذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي في «التلخيص». «إتحاف الخيرة المهرة» للبوصيري (٤٢٦٣) =

أين نحن الآن من أولـٰئك الرجال وذٰلك الجيل، فقد كانت الدنيا عندهم حقيرة لا تستحق شيئاً أمام الغايات السامية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ﴾ [التوبة:١١١]، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـًٔاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [التوبة].

ومما يؤسف له أننا أصبحنا اليوم في جيل يذهب زعماؤه إلىٰ صفوف الأعداء ويتركون صف الإسلام، فبماذا يعتذر الذي ينضم إلىٰ صف زعماء أمريكا والغرب وهو يعلم أنهم من وراء إسرائيل؟

لقد تألّبت كل القوىٰ علىٰ الإسلام والمسلمين لا لشيء إلا لإطفاء نوره، كل دولة ترفع شعار الإسلام، وترفع رايته، وتسعىٰ لتحكيمه، وصفوها بالإرهاب والتطرف، والتشدد والتنطع والتخلف، يغيظهم أن يحكم الإسلام العالم رغم أن العالم اليوم ـ كل العالم ـ بحاجة ماسة إلىٰ تعاليم الحنيفية السمحة التي بعث بها إمام المرسلين وخاتم النبيين ﷺ، وسيبقىٰ الإسلام وتظل رايته عالية خفاقة شاء من شاء، وأبىٰ من أبىٰ، نصرها من نصرها، وحاربها من حاربها، قال سبحانه: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [التوبة].



= قال البوصيري: هَـٰذَا إِسْنَادٌ ضَعِيفٌ لِضَعْفِ عَلِيِّ بْنِ زَيْدِ بْنِ جُدْعَانَ، وَلَهُ شَاهِدٌ مِنْ حَدِيثِ سُرَاقَةَ بْنِ مَالِكٍ.

المراجع والمصادر

- **القرآن الكريم.**
- **إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة**، لأحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري، طبعة دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولىٰ ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.
- **الأساس في التفسير**، لسعيد حوىٰ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، الطبعة الأولىٰ ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.
- **أمريكا والسعودية حملة إعلامية أم مواجهة سياسية**، لغازي عبد الرحمـٰن القصيبي، الناشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولىٰ ٢٠٠٢م.
- **البداية والنهاية**، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، حققه ودقق أصوله وعلق حواشيه: علي شيري، طبعة دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولىٰ ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.
- **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار النشر: دار الكتاب العربي، لبنان ـ بيروت، الطبعة الأولىٰ ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.
- **تاريخ دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل**، لأبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي، دراسة وتحقيق: علي شيري، طبعة دار الفكر، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولىٰ سنة ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.
- **تفسير القرآن العظيم**، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.
- **جامع البيان في تأويل القرآن**، لأبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولىٰ ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.
- **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه**، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة الأولىٰ ١٤٢٢هـ.

- **الجامع لأحكام القرآن**، لأبي عبد الله محمد بن أحمد شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م.
- **جمهرة الأمثال**، لأبي هلال العسكري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش، الناشر: دار الفكر، الطبعة الثانية ١٩٨٨م.
- **الخطر اليهودي علىٰ المسيحية والإسلام**، للدكتور عدنان حداد، دار البيروني للطباعة والنشر، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولىٰ ١٩٩٧م.
- **الدولة اليهودية**، لثيودور هرتزل، الناشر: مؤسسة الأبحاث العربية.
- **الروض الأنف**، لأبي القاسم عبد الرحمٰن بن الخطيب السهيلي، تحقيق وتعليق وشرح: عبد الرحمٰن الوكيل، الناشر: دار الكتب الإسلامية لصاحبها توفيق عفيفي عامر، الطبعة الأولىٰ ١٣٧٨هـ ـ ١٩٦٧م.
- **روضة الطالبين وعمدة المفتين**، لأبي زكريا يحيىٰ بن شرف النووي، الناشر: المكتب الإسلامي، سنة النشر ١٤٠٥هـ، بيروت.
- **الزاهر في معاني كلمات الناس**، لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري، تحقيق: الدكتور حاتم صالح الضامن، دار النشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولىٰ ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.
- **سبل الهدىٰ والرشاد في سيرة خير العباد**، للإمام محمد بن يوسف الصالحي الشامي، تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولىٰ ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.
- **سنن ابن ماجه**، لمحمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار الفكر، بيروت.
- **سنن أبي داود**، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت.
- **سنن الترمذي**، لأبي عيسىٰ محمد بن عيسىٰ الترمذي السلمي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- **السنن الكبرىٰ**، لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.
- **سنن النسائي**، لأبي عبد الرحمٰن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

- **السيرة النبوية**، لعبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، الناشر: دار الجيل، سنة النشر ١٤١١هـ، بيروت.
- **شعب الإيمان**، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ ١٤١٠هـ، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول.
- **صحيح الترغيب والترهيب**، لمحمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الخامسة.
- **صحيح الجامع الصغير وزيادته**، لمحمد ناصر الدين الألباني، أشرف علىٰ طبعه زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.
- **صحيح مسلم**، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، الناشر: دار الجيل، بيروت، دار الآفاق الجديدة، بيروت.
- **ضعيف الجامع الصغير وزيادته**، لمحمد ناصر الدين الألباني، أشرف علىٰ طبعه زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.
- **طيب المذاق من ثمرات الأوراق**، لتقي الدين أبي بكر بن علي بن عبد الله التقي الحموي المعروف بابن حجة، تحقيق: أبي عمار السخاوي، دار النشر: دار الفتح، الشارقة، ١٩٩٧م.
- **فصل المقال في شرح كتاب الأمثال**، لأبي عبيد البكري، المحقق: إحسان عباس، الناشر: مؤسسة الرسالة، لبنان ـ بيروت، الطبعة الأولىٰ، تاريخ النشر: ١٩٧١م.
- **كتاب قدسنا**، لمحمود العابدي، طبع جامعة الدول العربية ١٩٧٢م.
- **الكشاف عن حقائق التنزيل**، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- **مجلة المنار**، لمحمد رشيد رضا.
- **مجمع الأمثال**، لأبي الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: دار المعرفة، بيروت.
- **مجمع الزوائد**، لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، الناشر: دار الفكر، بيروت، ١٤١٢هـ.
- **مجموع الفتاوىٰ**، لعبد العزيز بن عبد الله بن باز، أشرف علىٰ جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر، الناشر: دار القاسم، الطبعة الأولىٰ ١٤٢٠هـ.

- **محض الصواب في فضائل ابن الخطاب**، ليوسف بن حسن بن عبد الهادي المبرد، المحقق: عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولىٰ ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.
- **المستدرك علىٰ الصحيحين**، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفىٰ عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م.
- **المستقصىٰ في أمثال العرب**، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٧م.
- **المسند**، لأبي عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني، الناشر: مؤسسة قرطبة، القاهرة، الأحاديث مذيلة بأحكام شعيب الأرناؤوط عليها.
- **المصنف**، لأبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمٰن الأعظمي، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.
- **معالم التنزيل**، لمحيي السنة، أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، حققه وخرج أحاديثه: محمد عبد الله النمر ـ عثمان جمعة ضميرية ـ سليمان مسلم الحرش، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.
- **المعجم الأوسط**، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ.
- **مكايد يهودية عبر التاريخ**، لعبد الرحمٰن حسن حبنّكة الميداني، الناشر: دار القلم دمشق ـ بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.
- **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**، لعبد الوهاب المسيري.
- **الموطأ**، لأبي عبد الله مالك بن أنس الأصبحي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، مصر.
- **النكت والعيون**، لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار النشر: دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان.
- **يوميات هرتزل**، إعداد: أنيس صايغ، ترجمة: هلدا شعبان صايغ، الناشر: مركز الأبحاث م. ت. ف، الطبعة الأولىٰ ١٩٦٨م.

الفهرس

الموضوع	الصحفة



التعريف بالمؤلف

- القاضي عبد القادر بن محمد العماري.
- من مواليد سنة ١٩٣٥م.
- تلقىٰ العلوم الشرعية والقانونية عن جماعة من العلماء والمتخصصين في الشريعة والقانون.
- درس في كلية الحقوق ـ قسم الشريعة ـ بجامعة الخرطوم، وتخرج منها سنة ١٩٥٧م.
- عمل قاضياً في المحاكم الشرعية في سنة ١٩٦٩م بدولة قطر، وتدرج في المناصب إلىٰ أن وصل إلىٰ نائب رئيس محكمة الاستئناف بالمحاكم الشرعية، وأمضىٰ أكثر من ثلاثة عقود في القضاء الشرعي بقطر.
- شارك في مجموعة من المؤتمرات والمجامع الفقهية، ومنها مجمع الفقه الإسلامي بجدة التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي.
- يحمل عضوية في الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين.
- يشغل عضواً في هيئة الرقابة الشرعية بمصرف قطر الإسلامي، وبنك قطر الدولي الإسلامي.
- له عدة مقالات نشرت في الجرائد القطرية، ومجموعة من الجرائد والمجلات العربية.

له مجموعةٌ من المؤلفات المطبوعة:

١ ـ حوادث السير، بحث قدمه في الدورة الثامنة لمجلس مجمع الفقه الإسلامي، قامت بطباعته جمعية قطر الخيرية. طبعة مطابع الدوحة الحديثة المحدودة.

٢ ـ وسقطت الماركسية، طبعة دار الثقافة ـ الدوحة. الطبعة الأولىٰ، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

٣ ـ وأحل الله البيع وحرم الربا، بحوث في قضايا مصرفية، قام بطباعته بنك قطر الدولي الإسلامي. طبعة مطابع الدوحة الحديثة المحدودة، ٢٠٠٥م.

٤ ـ الحق الإنساني والعنف الدولي، بحث قدمه في الدورة الرابعة عشرة: ٢٠٠٣/١/١١ ـ ٢٠٠٣/١/١٦م لمجلس مجمع الفقه الإسلامي، طبعته جمعية الهلال الأحمر القطري، ضمن سلسلة: نحو ثقافة إنسانية: ٥. الطبعة الأولىٰ.

٥ ـ لن يصلح أمر هـٰذه الأمة إلا بما صلح به أولها، طبعة مطابع قطر الوطنية.

٦ ـ بيع الوفاء والتورق والعينة، قام بطباعته مصرف قطر الإسلامي. طبعة مطابع الدوحة الحديثة المحدودة.

٧ ـ من أجل الإسلام، ردود علىٰ كتابات عدد من المؤلفين والكتَّاب. الناشر: دار الضياء ـ الأردن ـ عمَّان.

٨ ـ منحة الرحمـٰن في شهر رمضان، طبعة دار البشائر الإسلامية، لبنان ـ بيروت. الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م.

٩ ـ المفيد في الزواج السعيد، طبعة دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولىٰ، ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م.

١٠ ـ تأملات قرآنية، نشر دار الثقافة، الدوحة ـ قطر، إشراف المكتب الإسلامي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولىٰ، ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م.

١١ ـ شقائق الرجال، نشر دار الثقافة، الدوحة ـ قطر، إشراف المكتب الإسلامي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولىٰ، ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م.

١٢ ـ الإسلام دين الحنيفية السمحة، إشراف المكتب الإسلامي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م.

١٣ ـ شخصيات مضيئة، علماء.. دعاة.. أصدقاء، إشراف المكتب الإسلامي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م.

١٤ ـ عندما يدمّر الإنسان نفسه، الخمر.. المخدرات.. الدخان، إشراف المكتب الإسلامي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م.

١٥ ـ فتاوىٰ المسلم المعاصر، إشراف المكتب الإسلامي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م.